اصدارات

المدرسة الشبرية

اعداد الخطيب الحسيني

بقلم: المرحوم الخطيب

السيد محمد أمين شبر

جمعه نجل المؤلف

محمد جواد شبر

اصدارات

المدرسة الشبّرية

إعداد الخطيب الحسيني

بقلم: المرحوم الخطيب

السيد محمد أمين شبّر

جمعه وأعدّه نجله

محمد جواد شبّر

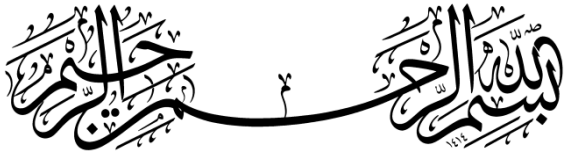
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لابدّ منها

بعد الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الأطياب.

إنّ هذه الصفحات هي عبارة عن طريق يسلكه الخطيب كتبها السيد الوالد محمد أمين شبر نجل خطيب الأمة الشهيد السيد جواد شبر رحمهما الله تعالى، في أوراق ودفاتر منذ عدّة سنوات وكان يلقيها على مسامع تلامذته في معاهد الخطابة التي كان يدرِّسُ بها وبعضها كانت قد نُشرت في المجلات والصحف الإسلامية.. و بقيت تلك الأوراق والدفاتر بين رفوف مكتبته تنتظر من يجمعها ويعدّها، وبعد أن عرضتها على بعض الفضلاء من خَدَمَةِ المنبر الحسيني للاطلاع عليها لاقت استحساناً كبيراً منهم ووجدوا فيها من الفائدة والنفع الكثير للمنبر الحسيني الواعي.. فشجعوني جزاهم الله خير الجزاء على جمعها وترتيبها وتبويبها ثم تخريج الآيات والروايات التي استشهد بها (رحمه الله) من مصادرنا الموثوقة، خدمة للإمام الحسين (عليه السلام) وفائدة لخدامه وبراً بوالدي إن شاء الله..

لقد ارتقى الوالد، المنبر الحسيني لأكثر من ٤٠ عاماً وقرأ في عدة دول وأحيا مجالس المراجع والعلماء وجاهد في سبيل الدين والوطن واعتُقلَ لأكثر من

مرة وحُكم عليه بالإعدام غيابياً من قبل محاكم حزب البعث الجائرة.. وبعد عمر من الجهاد والتبليغ الإسلامي توفي في عام ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م، عن عمر ٦١ عاماً في النجف الأشرف ودُفن قرب جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومن مؤلفاته: الطيب من القول، مائة دعاء لسعادة الدنيا والآخرة، أغرب الجرائم، محمد باقر الصدر المواجهة والشهادة، المدرسةُ الشبرية، أفكاري، وله من المخطوطات التي أدعو الله تعالى أن يوفقني على جمعها وإعدادها تباعاً إن شاء الله، منها: النحو الأوضح، الصحابة والتابعون، السيد عبد الله شبر البحر الزاخر، محاضراته الإسلامية وغيرها.

أسأل الله تعالى أن يتقبل منه هذا العمل وأن يغفر له ويرزقه شفاعة الحسين (عليه السلام).

وكما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الشيخ فارس العرادي لمساعدته إياي في الجمع.

محمد جواد شبر

متولي المدرسة الشبرية

٢٣ صفر الخير ١٤٤١

توطئة

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا).[1]

إن عملية التبليغ والدعوة إلى دين الله، هي من مهمات الأنبياء والرسل، وهي عملية شاقة ومهمة لا يقوم بأدائها على الوجه المطلوب إلاّ من وفّقه الله تعالى لحمل رسالة الحق والثبات على الصراط المستقيم، فما لم يكن (المبلّغ) محساً من الداخل بالتقوى والورع والزهد والصبر، لا يمكن له أن يتصدّى لهذه المسؤولية الخطيرة، وإلاّ كيف يكون للكلام أثر في نفوس الآخرين، إذا كان الخطيب نفسه لا يلتزم بما يحث الجمهور عليه؟! يقول أمير

(١) الأحزاب: ٣٩.

المؤمنين (عليه السلام): (ما اَمَرْتُكُمْ بشيء اِلاّ وَ قَدْ سَبَقْتُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ، وَ لا نهيتكم عَنْ شيءٍ اِلاّ وَ قَدْ سَبَقْتُكُمْ بالنّهي عَنْهُ).[1]

فالواعظ يمثّل القدوة للمتّعظين، وإنه ليس كسائر الناس العاديين، لذا فهو يحتاج إلى جهودٍ مضاعفة لصيانة نفسه من الخطأ، فخطؤه ليس كخطأ غيره..

يقول النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لابن مسعود: (يَا اِبْنَ مَسْعُودٍ لاَ تَكُنْ مِمَّنْ يُشَدِّدُ عَلَى اَلنَّاسِ وَ يُخَفِّفُ عَنْ نَفْسِهِ يَقُولُ اَللَّهُ تَعَالَى لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ.. يَا اِبْنَ مَسْعُودٍ لاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَهْدِي اَلنَّاسَ إِلَى اَلْخَيْرِ وَ يَأْمُرُهُمْ بِالْخَيْرِ وَ هُوَ غَافِلٌ عَنْهُ يَقُولُ اَللَّهُ تَعَالَى أَتَأْمُرُونَ اَلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ).[2]

وورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (أوحى الله إلى عيسى بن مريم (عليه السلام): عظ نفسك بحكمتي، فإن انتفعت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني).[3]

فأخطر أمراض الإنسان، أن يلهج لسانه بالصلاح والحث على فعل الخير وترك الشر، لكن أفعاله وسلوكه بخلاف ذلك، لأن سريرته وقلبه

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٥.

(٢) مكارم الأخلاق، ج١، ص٤٤٦.

(٣) كنز العمال: ٤٣١٥٦.

انطويا على رذائل خفيّة، يقول الله تعالى: (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ).[١]

وقال سبحانه: (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...)[٢]، فهؤلاء من أشد الناس على الأمة خطراً...

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت[٣]، فقلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به).[٤]

إذن.. المرشد المثالي والخطيب الإسلامي الذي يريده الله سبحانه، هو الذي يدعو الناس بأعماله الصالحة وسلوكه المهذّب قبل أن يدعوهم بلسانه، وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى ذلك بقوله لأصحابه: (كُونُوا دُعَاةَ النَّاسِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ لِيَرَوْا مِنْكُمُ الِاجْتِهَادَ وَ الصِّدْقَ وَ الْوَرَعَ)[٥] وقال

---

(١) آل عمران: ١٦٧.

(٢) الفتح: ١١.

(٣) وفت: أي تمت وطالت.

(٤) كنز العمال: ٣١٨٥٦، (٢٩٠٢٦ نحوه).

(٥) البحار: ج٦٧، ص٣٠٩.

(عليه السلام) في معنى قوله تعالى: ((إنما يخشى الله من عباده العلماء)؛ يعني بالعلماء من صدّق فعلهُ قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم)[١].

وأود أن أشير إلى مسألة مهمة، وهي أن الواعظ والخطيب والعالم والمتصدّي لمسألة التبليغ، لا يمكن لهم أن ينتهجوا هذا المنهج الربّاني ما لم يتّعظوا قبل أن يوعظوا، ويتهذَّبوا قبل أن يُهذِّبوا، ويخافوا الله قبل أن يخوّفوا الناس بالله، لذلك يقول عز من قائل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)[٢].. أي الحصول على ملكة التقوى بالتربية الروحية، ومن ثم التصدّي إلى مسألة الإرشاد والتبليغ، وإلاّ ما فائدة اللسان الطلق من دون تهذيب ومجاهدة نفسية؟!.

صحيح أن الأسلوب الخطابي هو أحسن شيء للتأثير على الجمهور العامي، ولكن بما أن لشخصية الخطيب دوراً اجتماعياً مؤثراً، وأن البارع في الخطابة هو الذي يستطيع أن يؤثّر في الجمهور يأخذ بأيديهم إلى الخير أو الشر، لذلك أصبّ اهتمامي على هذا الجانب، وهو عندما ينشط خطيب في أوساط المجتمع، فإنه قد يأخذ بأيدي الناس إلى الشر –والعياذ بالله ـ نتيجة

---

(١) الكافي: ج١ ص ٣٦.

(٢) الأحزاب: ٧٠.

لإهماله في جانب تربية النفس مما يدع الشيطان يتسرّب إلى قلبه ونيّته وسلوكه.

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(٤٢))[1] وعليه:

إن الخطيب الحسيني الناجح والذي يحتاجه الإسلام والمسلمون يجب عليه أن يعمل على ثلاثة أصعدة:

الأول: تربية النفس.

الثاني: العلم.

الثالث: الخطابة.

وسوف نبين ذلك بشيء من التفصيل إن شاء الله.

المؤلف

(١) الحجر.

تربية النفس

من أولى مهمات المسلم هي تربية نفسه والسهر على مجاهدتها، وإن أي تقصير في هذا المجال معناه ضياع الإنسان وانحرافه عن طريق الحق، وبالتالي الانغماس في الشهوات، والتعلّق بحب الدنيا، والوقوع في حبائل الشيطان، لذلك ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (طوبى لمن جاهد في الله نفسه وهواه، ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله تعالى، ومن جاوز عقله نفسه الامارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخشوع، على بساط خدمة الله فقد فاز فوزا عظيما، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى، وليس لقطعهما وقتلهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله تعالى والخشوع، والجوع والظمأ بالنهار، والسهر بالليل، فإن مات صاحبه مات شهيدا، وإن عاش واستقام أداه عاقبته إلى رضوان الله الأكبر).[1]

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن هذه النفس لأمارة بالسوء فمن أهملها جمحت به إلى المآثم)[2].. لذلك كان على الخطيب الحسيني الذي يُعلّم الناس هذا الدرس، ويتصدّى لمهمة تحذير الناس من الوقوع في المآثم وأسر الهوى تقلّبات الدنيا ومغرياتها، عليه أن يكون سبّاقاً لتهذيب نفسه وصيانتها

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ١١، ص١٣٩.

(٢) غرر الحكم: ٤٧٨١.

من ذلك، إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (زَلَّةُ الْعَالِمِ كَانْكِسَارِ السَّفِينَةِ تَغْرَقُ وَتُغْرِقُ مَعَهَا غَيْرَهَا)[١].

كما تحدّث الإمام علي (عليه السلام) عن العالم، وقال (عليه السلام) أيضاً: (زَلَّةُ الْعَالِمِ تُفْسِدُ عَوَالِمَ)[٢] وعنه (عليه السلام): (زَلَّةُ الْعَالِمِ كَبِيرَةُ الْجِنَايَةِ)[٣] وعنه (عليه السلام): (لَا زَلَّةَ أَشَدُّ مِنْ زَلَّةِ عَالِمٍ)[٤].

إن (جهاد النفس) وهو الجهاد الأكبر ليس مجرّد لفظ يردّده الخطيب من على المنبر على مسامع الجمهور، ثم يكون هو أول من يتهاون في هذا الأمر.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ).[٥]

فقد يتهاون الخطيب في جهاده للنفس وعدم الالتزام بنظام عبادي وبرنامج روحي، لأسبابٍ عديدة يرى بعضها (شرعية) كالتهاون في أداء

---

(١) غرر الحكم: ٢٣٣.

(٢) غرر الحكم: ٢٣٢.

(٣) غرر الحكم: ٢٣٤.

(٤) غرر الحكم: ٢٣٦.

(٥) نهج البلاغة: الحكم، الحكمة ٧٠.

صلاة الليل، وبعضها (عقلية) و(عرفية)!!.. فمثلاً يحتاج الخطيب الحسيني إلى دراسة الفقه والأصول، وإلى قراءة التاريخ والسيرة، والإطّلاع على علوم النفس والاجتماع والسياسة، والبحث عن آخر الأخبار العلمية، وتحليل أوضاع المسلمين الراهنة في العالم، كما يحتاج إلى حفظ النصوص وقصائد القريض والشعر الشعبي، بالإضافة إلى أعماله الحياتية الكثيرة وانشغالاته الأخرى، لذا فهو يقول -مبرّراً لهذا التقصير في الجانب الروحي-: متى أستطيع التفرّغ لجانب الروح ما دامت انشغالاتي كثيرة كالتي ذكرت آنفاً؟! وإن الجمهور ينتظر منّي مواضيع علمية ومحاضرات متجدّدة، فهي أهم من باقي الأعمال والاهتمامات الأخرى!!.

وهنا يكمن الخطر، ويبدأ الانزلاق ويتسرّب الشيطان إلى داخل النفس، ويأخذ الخطيب بالتبريرات الواهية النابعة من (النفس الأمّارة بالسوء) و(مكائد الشيطان) و(حب الجاه والدنيا).. ويؤطر كل ذلك بالأطر الشرعية والصيغ العلمية المنمّقة.. وبالتالي يخدع ضميره الأخلاقي، ليمارس نشاطه الخطابي وفق أهوائه وميوله براحة بال.

فما فائدة النبوغ والتطور في فن الخطابة والعلوم، إذا كان القلب مظلماً، والنفس خالية من الأنوار الإلهية والصفاء الروحي...؟!

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (تجد الرجل لا يُخطئ بلام ولا واو خطيبا مصقعا[١] ولقلبه أشد ظلمة من الليل المظلم، وتجد الرجل لا يستطيع يعبر عما في قلبه بلسانه وقلبه يزهر كما يزهر المصباح)[٢].

إن الخطيب الحسيني النموذجي هو الذي يعمل على الصعيدين: الروحي والخطابي جنباً إلى جنب، ومتى ما حدث (تزاحم) بين (خطوة علمية خطابية) و (برنامج روحي)، فعليه أن يقدّم (مجال الروح) على ما سواه.

وذلك لأن علمَي الفقه والأصول ومدرسة الخطابة كلها في الحقيقة وسيلة ومقدمة إلى بناء الإنسان المثالي المسلم، فإذا انشغلنا بهذه المقدّمات طوال عمرنا ونسينا (الغاية والنتيجة المرجوّة) فإن المجتمع مهدّدٌ بالتيه والضلال ـ والعياذ بالله ـ فإن أهم مشاكل بعض الخطباء هي الرغبة في الصعود إلى أعلى مستوى للخطابة، ولكن على حساب النفس وتربيتها، مما يؤدي بهم إلى الانزلاق في مواقف كثيرة.

---

(١) مصقع بالسين والصاد كمنبر: البليغ أو عالي الصوت أو من لا يرتج عليه في كلامه.

(٢) الكافي: ج٢، ص٤٢٢.

يقول السيد الخميني (قدس سره) مخاطباً طلبة الحوزة العلمية: (واتبعوا على الصعيدين، ولا تصرفوا جهودكم في مجال واحد هو المجال العلمي، فكلما خطوتم خطوة علمية عليكم أن تُقرنوها بخطوةٍ في تهذيب النفس وإصلاحها... واستئصال الأهواء النفسية الخبيثة، وتنمية القوى الروحية واكتساب مكارم الأخلاق وتحصيل التقوى).

وقال (قدس سره) في إحدى خطاباته للمبلّغين: (يجب عليكم أن تبنوا أنفسكم بحيث تستطيعون هداية الناس في القرية والمدينة التي تذهبون إليها).

فما لم يستطع الخطيب أن يربي نفسه ويبنيها إسلامياً، فإنه لا يمكنه أن يهدي الآخرين إلى طريق الله سبحانه.

وفي تحذير له (قدس سره) لأبنائه وطلبته يقول:

(أما إذا لم تصلحوا أنفسكم لا سمح الله في مراحل الدراسة ولم تكتسبوا الكمال الخُلُقي والمعنوي، فإنكم والعياذ بالله ستُضلّون الناس وتُقدّمون لهم صورة سيئة عن الإسلام وعلماء الدين).

فالمنبر الحسيني هو مدرسة إسلامية هادفة تحتوي على الدروس والمفاهيم الخالدة، وإن الخطيب فيها هو معلّم وموجّه وعالم وقدوة لكل الناس، ومتى ما قصّر أو زلّ فإن الناس يتّهمون الإسلام بذلك... وسينجرّ كل خطأ وانحراف على الدين الحنيف وعلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)،

وبالتالي سوف يبتعد الناس عن الله ولم ينتفعوا من الحضور في مجالس أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، ولهذا أشار الشهيد الخالد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) عندما خاطب طلبة الحوزة العلمية –بمن فيهم الخطباء ـ بقوله: (سوف نتحوّل إلى قطّاع طريق، ولكن أي طريق؟! الطريق إلى الله، لا طريق ما بين بلد وبلد، هذا الطريق إلى الله، نحن روّاده، نحن القائمون على الدلالة إليه.. فلو أننا أغلقنا هذا الطريق، إذن سوف نكون حاجباً عن الله، حاجباً عن اليوم الآخر).

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (شرار علماء أمتنا المضلون عنا، القاطعون للطرق إلينا)[1].

وقيل لأمير المؤمنين (عليه السلام): (من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ومصابيح الدجى؟ قال: العلماء إذا صلحوا. قيل: و من شر خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود وبعد المتسمين بأسمائكم وبعد المتلقبين بألقابكم، والآخذين لأمكنتكم، والمتأمرين في ممالككم؟ قال: العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق، وفيهم قال الله عز وجل: أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا).[2]

---

(١) البحار: ج٢، ص٨٩.

(٢) المصدر السابق.

إذن.. يجب على الخطيب الحسيني أن يدرك هذه المسألة المهمة، وأن يعرف قيمة هذه الخدمة الجليلة في طريق الله وأهل بيت النبوة ونهضة سيد الشهداء..

هذه الخدمة التي أحوج ما تكون إلى الإخلاص والورع والهدى، فـ (من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا)[1] كما جاء في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولأجل أن تكون (تربية النفس) من المسائل الموفّقة لدى الخطيب الحسيني، عليه أن يسعى جهد إمكانه في سبيل الله الوصول إلى أعلى درجات الإخلاص.

(١) البحار: ج٢، ص٣٧.

أعلى درجات الإخلاص

إن الإخلاص لله سبحانه هو روح عمل الخطيب، والخطيب الحسيني أمامه قول سيده أبي الشهداء (عليه السلام): (رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين)[١].

فالمفروض بالخطيب أن لا يكتفي بأقل درجات الإخلاص (كقصد القربة في الصلاة والصيام وغيرها من العبادات)، فهذا القدر هو المفروض توفره لدى أي إنسان مسلم عادي، بينما الخطيب المرشد الذي تصدى لمسألة إسلامه ومنهج أئمته (عليهم السلام) فإنه يحتاج إلى السعي للحصول على أعلى درجات الإخلاص، وذلك بأن يجعل كل لحظاته لله خالصة، فقد أوصى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحابي الجليل أبا ذر (رضوان الله تعالى عليه): (يا أبا ذر، ليكن لك في كل شيء نيّة حتى في النوم والأكل).[٢]

وفي مرة من المرات سألت أحد الخطباء البارعين: كيف يستطيع الإنسان أن يكون خطيباً بارعاً؟ فأجابني: الإخلاص.. الإخلاص!! (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ❖ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)[٣].

---

(١) البحار: ج٤٤، ص٣٦٧.

(٢) مكارم الأخلاق: ج٢، ص ٣٧٠.

(٣) الزمر: ١١ ـ١٢.

ويتركّز الإخلاص على ركيزتين:

عقلية: وهي معرفة الله تعالى.

عملية: وهي حب الله تعالى.

فإذا امتزجت معرفة الله بمحبته في نفس العبد، حصل له الإخلاص، وكان ألذّ شيء عنده هو رضوان الله الذي هو أكبر من جنة عرضها السماوات والأرض، قال سبحانه: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1].

(١) التوبة: ٧٢.

الورع والتقوى

إن هذه الصفة الربانية في شخصية الخطيب الحسيني، تشكّل الأساس والمنطق في تحركه وجهاده وعمله وحسن عاقبته، حيث يقول تبارك وتعالى: (إنما يتقبّل الله من المتّقين)[1] ويقول سبحانه: (والعاقبة للمتّقين)، لذا فإن أبرز عنصر في شخصية الخطيب هو (التقوى والورع) والالتزام الشرعي، ولا قيمة لكل القابليات والجهود والملكات مع غياب هذه الصفة.

إن مهمة الخطيب هي زرع روح التقوى في الناس، ومحاولة إيصالهم إلى الكمال، وحثّهم على الالتزام الشرعي، وأن يكون هو النموذج الأفضل لكل هذه الصفات.

لقد أراد الله تعالى أن يكون للإنسان قاعدة صلبة ينطلق منها بقوة إلى اتخاذ المواقف الصحيحة من الحياة على تنوّع مظاهرها.. والتقوى هي هذه القاعدة، فعن طريقها يكون الإيمان الصادق، وبها تتهذّب النفس وتطمئن ويتشرّب القلب حلاوة الطاعة للمعبود الحق، خالق الكون ومبدعُ الوجود.

وكم يكون الخطيب الحسيني عظيماً حينما يتحرّك على هذه القاعدة، حيث يمتلئ ايماناً صافياً، وتسمو نفسه في آفاق العشق الإلهي، ويتغمر قلبه بالطاعة لخالقه سبحانه، فإنه سيكون حسينياً بحق، وبالنتيجة يكون تأثيره

---

(١) المائدة: ٢٧.

على الجمهور أقوى وأكثر فعالية، فيأخذ بمجامع قلوبهم ويحرّك أحاسيسهم ويوصلهم إلى ما أراد الإمام الحسين (عليه السلام) من نهضته المباركة.. وهذا ما رأيناه في بعض خطبائنا الخالدين الذين خدموا دينهم أي خدمة فمضى منهم شهيداً على مذبح العقيدة وتوفى بعضهم على حب الولاية وغُيّب البعض الآخر في سجون الظالمين ولا يزالون يعانون لحد كتابة هذه الأسطر من سياط الجلادين وحقد أبناء يزيد بن معاوية المعاصرين..[1]

وهذا نموذج حسيني لخطيب خدم المنبر أكثر من ستين عاماً، كان يصدح بصوت الحق والتصدي للظلمة بتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) وذكر مصيبة السبط الشهيد (عليه السلام)، فاعتقله النظام وأذاقه الويلات مع عائلته، ثم عرضوا عليه المغريات مقابل أن يتنازل ولو قليلاً عن مبدئه، فانبرى لهم وهو تحت سياطهم قائلاً لهم: (اقطعوا لساني!! خير من أن تُعرضوا عليّ دنياكم!!).[2]

---

(١) كتب السيد المرحوم محمد أمين شبر هذا الكتاب في زمن الطاغية المقبور إذ كان بعض الخطباء يقبعون في سجونه المظلمة.

(٢) كان يقصد المؤلف والده الشهيد الخطيب السيد جواد شبر (رحمه الله).

لقد ردّد كما ردّد مثله الأعلى أبو الأحرار (عليه السلام): (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد.. إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما).[1]

وهذا الموقف وأمثاله جاء نتيجة للتقوى والورع والذوبان في الرسالة المحمدية والاندكاك بنهج أبي عبد الله (عليه السلام).. فالتقوى لا تتكون في النفس من الفراغ، وإنما وضع الله من أجل الوصول إليها نظام العبادة من صلاة وصوم وحج وقراءة القرآن ومجاهدات نفسية ورياضات روحية مستمرة والدعاء الخاشع والفكر المتأمل في عظمة الله في خلقه..

لذا وجب على الخطيب أن تكون عبادته مضاعفة، فلا يترك النوافل ولا يترك مستحبّات الأعمال بقدر المستطاع، ولا يتهاون عن الصوم الذي يقوّي ملكة التقوى في النفوس (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[2].. وليتّخذ الخطيب من الإمام علي (عليه السلام) سيد المتقين مثالاً جدياً في عبادته وتقواه حيث يقول: (إنما هي

(١) مقتل الحسين للمقرم: ٢٨٠.

(٢) البقرة: ١٨٣.

نفسي أروّضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبتُ على جوانب المنزلق)[١].

وإذا كانت عبادة خطباء المنبر الحسيني كعبادة سائر الناس، فما هو الفرق إذن بين الصنفين؟! وبمَ امتاز الخطيب حتى تشرئبُّ إليه أعناق الناس وهو يتحدّث وهم يستمعون؟!.. إذن وجب على الخطيب أن يهتم بإخلاص وبدقة في عبادته ومناجاته وتضرّعاته..

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أَوْحَى اَللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ (عليه السلام): لاَ تَجْعَلْ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ عَالِماً مَفْتُوناً بِالدُّنْيَا فَيَصُدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي، فَإِنَّ أُولَئِكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبَادِيَ اَلْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَدْنَى مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِمْ أَنْ أَنْزِعَ حَلاَوَةَ مُنَاجَاتِي مِنْ قُلُوبِهِمْ)[٢].

وإذا كان الخطيب صاحب تقوى فإن الجمهور المسلم يأنس به وتطمئن إليه القلوب ويأمن شرّه الخلق وتعمر به مجالس المؤمنين، يقول نبيّنا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا رأيتم روضة من رياض الجنة فارتعوا فيها، قيل: وما روضة من رياض الجنة؟! فقال: مجالس المؤمنين).[٣]

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥، ص ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٢) الكافي: ج١، ص٤٦.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ج٤، ص٢٥٣.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) للفضيل بن يسار: (تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل! من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كان أكثر من زبد البحر).[1]

وعنه (عليه السلام) ـ لداود بن سرحان ـ: يا داود، أبلغ موالي عني السلام، وأني أقول: رحم الله عبدا اجتمع مع آخر فتذاكرا أمرنا، فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما. وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله تعالى بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإن في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا. وخير الناس من بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا).[2]

فالخطيب الذي تحصّن بالتقوى وأحيى أمر أهل البيت (عليهم السلام) وأبكى الناس على الحسين صريع الدمعة الساكبة وعبرة كل مؤمن ومؤمنة، هو الذي يحظى بالعزّ الذي يبقى به خدمة سيد الشهداء (عليه السلام) في الدنيا والآخرة.

---

(١) قرب الإسناد: ج٣٦، ص ١١٧.

(٢) البحار: ج١، ص٢٠٠.

مَنْ طَلَبَ العِزَّ ليبقَي بِهِ فإنَّ عِزَّ المَرءِ تَقْوَاهُ
لم يَعْتَصِم باللّهِ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ ليس يَرجُوهُ ويَخْشَاهُ[1]

وعندما يصفو القلب ويسلم من الأمراض والذنوب والأدران والمعاصي، تكون النفس مهيّأةً للنمو والكمال واستقبال الألطاف الربانية، وتجري الحكمة في قلب الخطيب على لسانه، يقول الشاعر:

شَكَوتُ إِلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي فَأَرشَدَني إِلى تَركِ المَعاصي
وَأَخبَرَني بِأَنَّ العِلمَ نورٌ وَنورُ اللَهِ لا يُهدى لِعاصي[2]

(١) أبو العتاهية.

(٢) الشافعي.

عدم اتباع الهوى

للهوى فعل تخريبي وخطر جداً، وقد تقضي لحظة واحدة من لحظات الهوى القاتلة على حسنات كثيرة من حسنات الخطيب وهو لا يشعر!! (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)[١] وقد حذّر أمير المؤمنين (عليه السلام) من أخطار الهوى بقوله: (أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثنَان: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ).[٢]

إن الهوى إذا طغى فإنه يعطل كلاً من العقل والإرادة والقلب والفطرة.

يقول تعالى: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)[٣].

وقال سبحانه: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)[٤].

---

(١) الحجرات: ٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٤٢.

(٣) الكهف: ٢٨.

(٤) الجاثية: ٢٣.

فتنغلق كل منافذ الهداية، وينقطع النور عنه، وعندما تنعدم الرؤية تماماً، فيصبح أعمى، ذليلاً، أصمّاً.

لذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنك إن أطعت هواك، أصمك وأعماك وأفسد منقلبك وأرداك)[١].

فالخطيب إذن يجب أن يحذر الهوى كما يحذر أعداء الحسين وقاتليه.. فهما في الخطر سواء على شخصية الإنسان المسلم، بل إن الهوى هو الذي حرّك أمثال عمر بن سعد لقتل سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يوشك أن تداعى عليكم الأمم، تداعي الأكلة على قصعتها. وأنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، من حب الدنيا وكراهية الموت).[٢]

وما أحسن الخطيب الذي يمتنع عن الهوى قبل أن يمنع غيره، أنظر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يقول: (إني لأرفع نفسي أن أنهى الناس عما

---

(١) غرر الحكم: ح ١٣٢٦.

(٢) الملاحم والفتن ص١٢٩

لست أنتهي عنه، أو آمرهم بما لا أسبقهم إليه بعملي، أو أرضى منهم بما لا يرضي ربي).[١]

فالخطباء كما عرَّفناهم ينشطرون إلى شطرين:

الأول: يفعل ما يقول، ويأتمر قبل أن يأمر جمهوره، وينتهي قبل أن ينهى الناس عن المنكر واتّباع الهوى، وهذا النوع هو مصداق لقول الإمام (عليه السلام) الآنف الذكر.

أما الثاني: فهو الذي ينهى ولا ينتهي وأمر بما لا يأتي..!!

ويتميّز هذا القسمان من خلال حالة الصراع الموجودة داخل النفس الإنسانية، حيث يوجد فيها عاملان:

أ ـ عامل الفطرة (أو العقل) الذي يدعو إلى الله سبحانه.

ب ـ عامل الهوى الذي يصدّ عن سبيل الله..

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨))[٢].. وهذا الصراع هو الذي يقرّر مصير الإنسان، فإذا انتصر (العقل) على (الهوى) كان من النوع الأول، وأصبحت كل جوارحه جنوداً للعقل، فيسمو هذا

---

(١) غرر الحكم: ٣٧٧٨.

(٢) الضحى.

الخطيب ويكون مصداقاً لخادم الحسين (عليه السلام).. أما إذا انتصر (الهوى)، فإن الجوارح بما فيها العقل تصير أسيرة للهوى فيكون لسان هذا الخطيب لا يتكلّم إلا وفق (الهوى)، وسلوكه كذلك، مما يسبّب كارثة عظمى للأمة..!!.

فلابد للإنسان الذي يريد أن يكون خطيباً حسينياً موجّهاً، أن يكون إنساناً تقيّاً في أخلاقه وفي كلامه وفي علاقاته، وفي الحقيقة أن المسلم ـ كل مسلم ـ يجب أن يكون هكذا فكيف إذا كان مسلماً واعظاً..؟! وكيف إذا كان مسلماً يتحدّث للناس عن الحسين ويحترمه الناس باسم الحسين (عليه السلام)؟!

فالناس تفزع إلى الخطيب في آلامها وآمالها، يقول الخطيب الكبير السيد جواد شبر: (الخطيب مفزع الأمة في مشاكلها، والمعبّر عن آلامها وأدوائها، تقصده الجماهير فتبثّه شكواها وتنتظر منه العلاج).

الابتعاد عن حب الدنيا والحذر من العجب

إن (حب الدنيا) و (مرض العجب) من المنزلقات الخطيرة التي أودت بكثير من الخطباء المفوّهين إلى الحضيض، فحينما يرى بعض الخطباء أعناق الناس وهي تتطاول إليه وتصغي لحديثه المئات من البشر ويحترمه مختلف طبقات الناس، يزداد تعلقه بالدنيا ويغتر بها فينسى قوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ).[1]

(وأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩)).[2]

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (كيف يعمل للآخرة المشغول بالدنيا).[3]

وما أشد خطر (العجب) الذي يُصاب به كثير ممن حصلوا على ملكة الخطابة والصوت الشجي وقابلية الحفظ، هؤلاء يحوّلهم (العجب) إلى أدوات بيد الشيطان بدل أن يكونوا في طاعة الرحمن (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) النازعات.

(٣) غرر الحكم: ٧١٦٤.

يُحْسِنُونَ صُنْعًا)[١]، ويقول تعالى: (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)[٢].

وقال تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا).[٣]

وعن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: (قال الله تعالى: أنا أعلم بما يصلح به أمر عبادي وإن من عبادي المؤمنين لَمن يجتهد في عبادته، فيقوم من رقاده ولذيذ وساده، فيجتهد ويتعب نفسه في عبادتي، فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له، وإبقاءً عليه، فينام حتى يصبح، فيقوم ماقتاً لنفسه زارياً عليها، ولو أُخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله من ذلك العجب بأعماله فيأتيه ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله، ورضاه عن نفسه، حتى يظنّ أنه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حدّ التقصير فيتباعد مني وهو يظن أنه تقرّب إليّ).[٤]

---

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) الحجرات: ٢.

(٣) الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥.

(٤) البحار: ج٧٢، ص٣٢١.

وأوحى الله تعالى إلى داوود: (يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال: كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين؟ قال: يا داود بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك.).[1]

(١) الكافي: ج٢، ص٣١٤.

العلم

الصعيد الثاني الذي ينبغي ان يهتم به الخطيب الحسيني هو العلم الذي يعد العنصر الأساسي بعد عنصر تهذيب النفس، ولذلك ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر)[1].

لابد للخطيب الحسيني الناجح أن يكون قد أكمل مراحل من الدراسة الحوزوية من تفسير القرآن والحديث والفقه والأصول والنحو والمنطق، وباقي العلوم الإسلامية.

فتفسير القرآن من أهم العلوم التي يجب على الخطيب الحسيني الإلمام بها ومتابعة دراستها وتدريسها لأن المحاضرة تنطلق من آية مباركة ـ هكذا جرت العادة ـ فيبدأ الخطيب بتفسير الآية وربطها بالقضية الحسينية، إضافة إلى أن كثرة قراءة القرآن يقوي الذاكرة وهي من أهم الأمور التي يجب أن

(١) الكافي: ج١، ص٣٤.

يتمتع بها الخطيب والكثرة من قراءته يقوي أيضاً الفصاحة والسليقة النحوية، وإن ما يجمل المحاضرة هو الاستشهاد بالآيات القرآنية وفي مواضعها الصحيحة.

وان يبتدئ بحفظ القرآن الكريم حفظاً متقناً، وكان السلف الصالح لا يُعلّمون الحديث والفقه إلاّ لمن حفظ القرآن الكريم.

أما الحديث أن يكثر من قراءة الحديث النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم) والوارد عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ولا يهمل منه، ومن الاشتغال به وبعلومه والنظر في إسناده ورجاله ومعانيه وأحكامه وفوائده وصحيحه وحسنه وضعيفه ومرسله وسائر أنواعه.. فإنه كما يقولون أحد جناحي العلم بالشريعة والمُبيِّن للأحكام، والجناح الآخر القرآن.

وأما الفقه والأصول فلابد لكل مسلم أن يتفقه في الدين فكيف بالخطيب الحسيني الذي يجب أن يكون نموذجاً يحتذى به مع تعرّضه للأسئلة الفقهية والأصولية وبما فيها المعمّقة وربما يتعرض للإحراج من بعض الدارسين الذين يريدون أن يختبروا علميته وهكذا.. إذن لابد له أن يقطع شوطاً طويلاً في الدراسة الحوزوية وبكل جدية ويستمر في الدراسة والتدريس إضافة إلى مزاولة مهنة الخطابة.

وأما في النحو، فاللغة العربية تصاحب الخطيب الحسيني طوال مشواره الخطابي وعليه فيجب على الخطيب الحسيني أن يجيد قواعد اللغة العربية وأن يجهد نفسه في دراسة كتب النحو وتدريسها حتى يكتسب الملكة فيها وأن يتدرّب القول الفصيح حتى في كلامه مع أبنائه وزوجته فمن المعيب أن يلحن الخطيب، يرفع المنصوب وينصب المرفوع وهكذا.. خاصة في وقتنا هذا الذي بات صوت الخطيب الحسيني مسموعاً في كل أنحاء العالم ولم يعد مقتصراً بين جدران الحسينية.

أما المنطق فهو ما يرشد العقل إلى التفكير الصحيح وتقسيمات الألفاظ، والمباحث الكلية، والقضايا وأحكامها، ومباحث الاستدلال، وصناعة البرهان وصناعة الخطابة، وغيرها من الفصول والمباحث، فكل فصول المنطق ومباحثه ضرورية للخطيب الحسيني وتلازمه مادام يرتقي المنبر، لذا فعليه أن يجهد نفسه في دراسة المنطق وتدريسه، ويعتبر كثير من الفلاسفة (علم الخطابة) جزءاً متمماً لعلم المنطق، فابن سينا في (الشفاء) يجعل الخطابة من أقسام المنطق، واستمر ذلك حالُ الفلاسفة.. إلى أن قصر المتأخرون النظر فيه على (صور القياس وأشكاله وأدواته) ولو قرأتَ كتاب الخطابة لأورسطو لرأيتَ فيه المنطق واضحاً وضوحاً تاماً ترى الكلام على الحد والرسم

والدليل، وكيف يتكون القياس الخطابي، ثم ترى فيه الكلام على التصديق الذي يُكتفى به في الخطابة.

وإضافة إلى ذلك على الخطيب الحسيني الناجح أن يقرأ في كل اسبوع كتاباً واحداً على أقل تقدير، خاصة في مجال سيرة أهل البيت (عليهم السلام) والتاريخ الإسلامي والعقائد، وأن يوسّع ثقافته وأن لا يقتصر في مجال معيّن فمادام الخطيب ينزل إلى المجتمع فليتوقع كل أنواع الثقافات وفي شتى مجالاتها، وقراءة الكتب الأدبية المتنوعة من عيون الشعر والخطب والكلمات والاطلاع على الأدب غير العربي.

ولا يغفل الخطيب الحسيني عن علاقة علم الخطابة بعلمي النفس والاجتماع إذ لا يصل الخطيب إلى غايته وهي إقناع السامعين وحَملُهُم على المراد، إلاّ إذا استطاع أن يثير حماستهم ويخاطب إحساسَهم، ويتصل كلامه بشغاف قلوبهم، ولا يمكنه ذلك إلاّ إذا كان عليماً بما يثير شوقهم ويسترعي انتباههم، وعليماً بطبائع النفوس وأحوالها وغرائزها، وسجاياها، وذلك لا يكون إلاّ بعلم النفس، وإذا كان علم النفس دعامة لعلم التربية، فهو أيضاً دعامة لعلم الخطابة، لأن كليهما يهدي الإنسان إلى وسائل الإقناع، والتلقين والتأثير، غير أن الأول لنشء حدث، والثاني لكبار لهم أفكار

ومذاهب، تجعل التأثير فيهم أبعد منالا، والوصول إلى قلوبهم أعز مطلباً، والاستيلاء على نفوسهم أشرف منصباً..

وكذلك علم الاجتماع فيقول الفارابي: إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته، فليتوخّ طباع الناس وتلون أخلاقهم، وتباين أحوالهم، وقال افلاطون: لكل أمر حقيقة، ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليقة، فعامل الناس على خلائقهم، والتمس من الأمور حقائقها، واجرِ مع الزمان على طرائقه. إذن يجب على الخطيب الحسيني أن يكون له إلمام بسياسة الناس، وما يجب لكل طبقة من المعاملة، وما يلزم لكل صنف من الناس من خطاب، يجب أن يكون عليماً بروح الجماعة، دارساً لأخلاقها، فاهماً لما يسيطر عليها.

ويجب أن يحذر الخطيب الحسيني من النظر إلى نفسه بعين الكمال والاستغناء عن المعلمين والأساتذة، فإن ذلك عين النقص وحقيقة الجهل وعنوان الحماقة ودليل قلة العلم والمعرفة.

وعليه أن لا يحتقر أي فائدة يراها أو يسمعها في أي فن كانت، فيبادر إلى التأكّد منها بأن توافق القرآن والعقل، ومن ثمّ كتابتها وحفظها، يقول أحد المفكّرين: (اكتبوا أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون).

أما بخصوص أوقات التعلُّم والدراسة فينقل عن علمائنا (رض): وأجود الأوقات للحفظ الأسحار وللبحث الأبكار وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل وبقايا النهار.

هدف طلب العلم

لابد أن يلتفت المُتعلّم إلى الهدف من طلب العلم، فعليه أن يحدد هدفه من ذلك، وإنّ أسمى هدف للتعلم هو العمل في سبيل الله تبارك وتعالى، يقول نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): (من تعلّم العلم للتكبر مات جاهلاً، ومن تعلّمه للقول دون العمل مات منافقاً، ومن تعلّمه للمناظرة مات فاسقاً، ومن تعلّمه لكثرة المال مات زنديقاً، ومن تعلّمه للعمل مات عارفاً..)[١].

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (من تعلم العلم للعمل به لم يوحشه كساده).[٢]

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): (من تعلم العلم وعمل به وعلم لله، دعي في ملكوت السماوات عظيما، فقيل: تعلم لله واعمل لله وعلم لله).[٣]

وما فائدةُ من يحمل علماً ولا يسير بهديه والله تعالى يمثّل هؤلاء بالحمير: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)[٤].

---

(١) المواعظ العددية: ٢٦٢.

(٢) غرر الحكم: ٨٢٤٤.

(٣) الكافي: ج١ ص٣٥.

(٤) الجمعة: ٥.

وهذا هو تطبيق لما يدرسه الخطيب الحسيني في حياته ومن على المنبر، فعندما يرتقي الخطيب المنبر يطبّق قواعد النحو التي درسها على خطبته أو محاضرته، وسيستفيد من أخطائه، ومثلاً المنطق الذي يعرَّف بأنه يرشد إلى تصحيح التفكير، يطبقه أثناء التفكير في كتابة المحاضرة وهكذا باقي الدروس، إذن المهم من دراستنا النظرية أن تنزل إلى أرض الواقع العملي وإلاّ ما فائدة العلوم المكنوزة داخل الصدور وفي حدود الذهن فقط، فلا فائدة من دراستنا لسيرة النبي وأهل بيته ما لم نسر كما ساروا، وما فائدة ادّعائنا لفقه الإسلام إذا جاءنا الجواب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ)[1].

وكذلك يتعين على الخطيب أن يختار المواضيع التي لها مساس في حياة الناس ويتجنب المواضيع التي لا فائدة فيها أو قليلة الفائدة لأجل نشر معالم الدين التي يحتاجها الناس.

---

(١) الصف: ٢.

فن الخطابة

يعتبر الأداء الفني واسلوب عرض المفاهيم بشكل مبرمج وواضح من مواصفات الخطيب الحسيني الناجح الذي يستطيع أن يؤثر في الجمهور ويشدهم إليه، فالقدرة على البيان واختيار العبارات المناسبة والألفاظ المؤثرة من شروط الخطيب المقتدر الذي يريد أن يمارس دوره الرسالي على طريق الدعوة إلى الله تعالى بصورة ناجحة، فكم من حامل للعلم والمعرفة ولا يجيد لغة التخاطب والحديث مع الناس، ولا يُحسن إيصال ما يريدُ إليهم، هؤلاء غالباً ما تجابه أفكارهم ـ رغم صحتها ـ بالرفض والرد وعدم الاستقبال، في حين نرى تأثير بعض من يتفنن في صياغة الأسلوب الذكي رغم انحراف أفكاره، وهذا ما لاحظناه ونلاحظه في الأساليب الفنية الخطابية التي يتبعها (وعّاظ السلاطين) (تجد الرجل لا يخطئ بلام ولا واو خطيبا مصقعا[1] ولقلبه ولقلبه أشد ظلمة من الليل المظلم، وتجد الرجل لا يستطيع أن يعبر عما في قلبه بلسانه وقلبه يزهر كما يزهر المصباح)[2] كما جاء ذلك في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام).

---

(١) مصقع بالسين والصاد كمنبر: البليغ أو عالي الصوت أو من لا يرتج عليه في كلامه.

(٢) الكافي: ج٢، ص٤٢٢.

لقد اهتم الإسلام اهتماماً خاصاً بمسألة تبليغ الناس وأسلوب مخاطبتهم بالطرق المثلى، يقول تعالى لنبيّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[١].

وقال عز وجل: (وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا).[٢]

والله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان، يُريد من المؤمنين أن يقولوا القول السديد والحسن لكي يستطيعوا نشر رسالة الحق والعدل بين الناس، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا).[٣]

(وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ).[٤]

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)[٥] ومن وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولديه: (وقولا بالحق واعملا للأجر)[٦].

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٧٠.

(٤) سورة إسراء، الآية ٥٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٦) من وصية الإمام علي (عليه السلام) لولديه (نهج البلاغة).

إن نظرة فاحصة إلى دعوة الأنبياء والمرسلين والمعصومين الأئمة (عليهم السلام) تبيّن لنا جلياً كيف استطاعوا بحكمة وصبر وفن ومداراة ومراعاة لذهنيات الناس، أن يحققوا الانجازات الرائعة على طريق الله سبحانه.

يقول رسولنا الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّا مَعَاشِرَ اَلْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ اَلنّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ).[1]

فمن هنا كان لزاماً على الخطيب الحسيني أن يستخدم الأساليب الفنية المتطورة ليكون أكثر فاعلية وتأثيراً في الجمهور الذي يخاطبه ويتعامل معه، وعليه أن يخاطبهم بذوقهم لا بذوقه، منطلقاً من قاعدة (قرّبوا ولا تنفّروا)، عن عبد الله بن عباس (رض) قال: لما نزلت الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦))[2] وقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) أمرَ علياً (عليه السلام) ومعاذاً أن يسرا إلى اليمن، فقال: (انطلقا فبشِّرا ولا تنفِّرا، ويسِّرا ولا تعسِّرا)[3]، فإنه قد أنزل عليَّ (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومُبشِّرا...)[4].

---

(١) الكافي: ج١، ص٢٣.

(٢) الأحزاب.

(٣) الدر المنثور، ج٦، ص٢٠٦.

(٤) الأحزاب: ٤٥.

إن المقصود من (فن الخطابة) هي قدرة الخطيب على استمالة جمهوره بإثارة عواطفهم بحيث يستطيع اثبات رأيه ودفع آراء الخصوم وبالتالي تغيير شعور جمهوره الذين قد يتأثروا بإشاعةٍ أو دعايةٍ مضادة، فقد روى لنا التاريخ عن رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انه كانت له هذه القابلية الفذة والفن الرائع في التأثير على الناس، ففي غزوة (حُنين) قسَّم (صلى الله عليه وآله وسلم) الغنائم، فحرم الأنصار منها، وأعطى المؤلفة قلوبهم، فوجدوا عليه وأخذوا يثيرون ما بينهم الهمس القائل: إن محمداً لقي أهله وقومه وعشيرته، فنسي أنصاره وأصحابه، هؤلاء الذين شاركوه في محنته وضحوا في سبيله، لقد نسيهم وأهملهم وأعرض عنهم...

ولما سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الهمس واطلع على أن هناك بذور فتنة ضده لدى الأنصار، أرسل عليهم وجمعهم وتكلّم معهم وخطبهم بتلك الخطبة الرائعة الفنية، حيث قال: (لقد بلغني عن بعضكم هذا الموضوع، بأن محمداً نسي أصحابه وأنصاره حينما التقى بقومه، فسكت الجميع واعترف البعض بهذه المقالة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم: ألا ترضون أن يذهب أهل

مكة إلى بلادهم بمجموعة من الأموال الزائفة وأنتم ترجعون إلى بلادكم بمحمد.. برسول الله؟!).[1]

فما كان من الأنصار إلاّ أن انفجروا بالبكاء ندماً عمّا بدر منهم وأخذوا يستغفرون وأعلنوا ولاءهم واستعدادهم وتعلقهم أكثر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. وهكذا ألهب الرسول المسدد عواطفهم بحنكته واقتداره وإسلوبه الخطابي الفريد، وما أجدر بالخطيب أن يستفيد من هذه الصور الفنية لدى النبي وآل بيته عليهم أفضل التحية والسلام.

ولكي نتكلم بصورة مفصلة عن (فن الخطابة)، علينا أن نعرف بأن أركان الخطابة هي ثلاثة: الخطيب، الخطبة، المستمع.

(١) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف : ص٩٠.

الخطيب

يجب أن تتوفر في الخطيب الحسيني بعض النقاط المهمة حتى يكون بالمستوى المطلوب، ومنها:

الاستعداد الفطري والامكانات الذاتية

كل انسان يوجد لديه استعداد خاص يختلف عن غيره من سائر البشر وهذه هي حكمة الله سبحانه، لذا يجب على كل فرد أن يتمعن بما لَهُ من قابليات واستعدادات حتى يعمل وفقها بعد أن يطورها وينمّيها، لا أن يقفز على أشياء تجرّ عليه الندم وتسبب خللاً في مجتمعه، كما نرى الكثير ممن أصبحوا (عالة) على الخطابة والخطباء، يقول الشيخ المظفر (رحمه الله): إن الله أعطى عباده استعدادات معيّنة، فالإنسان الموفق في حياته هو الذي عرف استعداده وربّاه ونماه ومارسه فحينئذ ينجح في عمله، وأما الذي عنده استعداد شيء ويمارس غير ما هو معد له، فهو الذي يخسر في عمله ويبقى متأخراً.[1]

(١) كتاب المنطق للشيخ المظفر، ج٢.

فليس كل من يحمل علماً وثقافة ونظريات في الخطابة يستطيع أن يكون خطيباً ناجحاً، فقد كتب (إدموند بيرك[1]) خطباً رائعة جداً من ناحية المنطق والحكمة والإنشاء، حتى غدت تدرّس كنماذج خطابية في نصف جامعات أمريكا، ومع ذلك كان (بيرك) خطيباً فاشلاً، إذ لم تكن لديه القدرة على إيصال أفكاره وإظهارها بطريقة لائقة، فأطلق عليه مجلس العموم اسم (ناقوس عشاء) ، فعندما ينهض لإلقاء خطاب، تبدأ سائر الأعضاء بالسعال والخروج جماعات جماعات[2]، فليس كل من تعلم فن الخطابة صار خطيباً فالخطابة موهبة ربانية ونعمة من الله يهبها لمن يشاء من عباده.

(١) مفكر سياسي إيرلندي، يعتبر من رواد الفكر المحافظ الحديث. من أشهر أعماله (تأمّلات حول الثورة في فرنسا ١٧٩٠ م) في التحذير من تبعات الثورة الفرنسية التي حدثت في عهده، عاش ما بين ١٧٢٩ ـ ١٧٩٧ م.

(٢) راجع (فن الخطابة) لدايل كارنيغي.

الفصاحة وفن الإلقاء

واللسان الفصيح يُعد من الودائع الإلهية والذخائر الفطرية لدى الإنسان وتبرز منذ الطفولة كفاءة الأشخاص الذين تتوفر فيهم هذه الفضيلة فطرياً بنحو شعوري أو لا شعوري، وتتكشف في مرحلة الصبا والشباب مميزة إياهم عن غيرهم وتسمو بهم على من سواهم..

ومن حكمته تعالى أن أرسل كلّ نبيٍّ بلسان قومه، كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1]، وقال تعالى: (الرَّحْمَنُ❖عَلَّمَ الْقُرْآنَ❖خَلَقَ الْإِنسَانَ❖عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[2]، وإنّ ما جاء في القرآن الكريم على لسان موسى(عليه السلام): (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا)[3]، ليُشير إلى أنّ موسى (عليه السلام) سأل ربه فصاحة اللسان؛ ليفهم قومه لهجته، فتصلهم رسالته؛ إذ قال تعالى على لسانه: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ❖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ❖ يَفْقَهُوا قَوْلِي)[4].

---

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) الرحمن.

(٣) القصص: ٣٤.

(٤) طه.

والفصاحة وفن الإلقاء هو عبارة عن نقل الأفكار من المُلقي إلى المُتلقّي، للتأثير فيه ومشاركته إياه أفكاره، وهو السبيل للتعبير عن الذات وكوامن النفس وعبقرية الذهن وإبداع الخاطر، يقول دوسكو دروموند: (لو قُدر علي أن أفقد كل مواهبي و مَلكاتي، و كان لي اختيار في أن أحض بواحدة فقط، فلن أتردد في أن تكون هذه هي القدرة على التحدث، لأنني من خلالها سأستطيع أن أستعيد البقية بسرعة)[١]، ويقول زغ زغلر[٢]: (سواء رضينا أم أبينا فإن الذين يحسنون الحديث أمام الناس يعتبرهم الآخرون أكثر ذكاء، وأن لديهم مهارات قيادية متميزة عن غيرهم).

إذن فالإلقاء والفصاحة ليست مهارة عادية بل منها السحر والبيان وكما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للعلاء بن الخضرمي عندما ألقى على مسامعه الشريفة أبياتاً من الشعر: (إن من الشعر لحكما، وإن من البيان لسحرا، وإن شعرك لحسن، وإن كتاب الله أحسن)[٣].

---

(١) فن الإلقاء الرائع: د.طارق محمد السويدان.

(٢) محاضر مشهور في التنمية البشرية.

(٣) البحار: ج٦٨، ص٤١٥.

اكتساب فصاحة اللسان

ونقصد بالفصاحة أن يكون الخطيب الحسيني طلق اللسان، سليم النطق، جيد التعبير، فيُخرِج الحروف من مخارجها، ويتجنب اللحن في اللغة، فلا يخطئ في قواعد النحو، ولا يتعثر في كلامه، ولا يتردد أو يتلعثم أو يتلجلج، وأن تكون ألفاظه بيِّنة غيرَ متداخلة.

والفصاحة تتطلّب الصّبر والإصرار والتدريب والمتابعة، حتّى في حالة فشل الشخص في المراحل الأولى من تعلّمه.

و يتطلّب التحدث في مختلف المواقف والمواضيع بثقة وفصاحة دون تردّد أو خجل، وعدم نسيان الأفكار.

طرق اكتساب الفصاحة

وهنالك طرق مجربة لاكتساب الفصاحة، منها:

١ ـ **الإكثار من قراءة القرآن الكريم:** ففي القرآن الكريم من الإيجاز والإعجاز والبيان ما عجِز جميع البشر عن الإتيان بمثله، فكان بذلك أبلغ كتاب في اللغة العربية، والإكثار من قرآءته بصوت واضح ينمّي ملكة الفصاحة لدى الإنسان.

٢ ـ **اختيار نموذج أو قدوة للاقتداء به:** ويكون ذلك باختيار أحد الخطباء المعروفين بفصاحتهم وقدرتهم على التعبير، بالإكثار من الاستماع إلى محاضراتهم وتكرار أقوالهم باستمرار.

٣ ـ **التواصل مع الناس:** ومما ينمي ملكة الفصاحة لدى الإنسان هو تواصله مع الناس في مناسباتهم وأفراحهم وأحزانهم والتكلم معهم وعدم تجنّب الناس لأن ذلك يضعف الفصاحة لدى الإنسان، فمهارة التواصل من أهم المهارات التي يجب أن يكتسبها أيّ إنسان، فهي تساعد على إيصال وجهة النظر، وإقناع الطرف الآخر بها.

٤ ـ **مخاطبة الناس بلهجاتهم:** أي مخاطبتهم بما يفهمون وان تطلب ذلك مخاطبتهم بلهجتهم الدارجة، يروى أن رجلاً دخل على أحد ملوك حِميَر وهو جالس في مكان مرتفع، فقال له الملك: ثَبْ، أي اجلس بلهجته

فقفز الرجل من الجبل فمات، استغرب الملك تصرّفه، فشرحوا له أن الوثب في لهجة الرجل يعني القفز، في حين أن الملك كان يريده أن يجلس[١].

٥ ـ **التدريب على استعمال الفصاحة:** وهو الأمر الذي يتطلب المثابرة والجهد والصبر على تطوير مهارة الفصاحة وصقلها وهي القدرة على النقاش والحوار بفصاحة، إلى أن تصير الفصاحة طبعاً وصِفَةً عند صاحبها، قال ابن خلدون: (والملكات لا تحصل إلاّ بتكرار الأفعال).

٦ ـ **كتابة المحاضرة التي يريد القائها** وعرضها على من عنده الفصاحة لتقييمها وبيان نقاط القوة والضعف فيها.

قصة في الفصاحة

لما أفضتْ الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فإذا فيهم وفد الحجاز فنظر إلى صغير السن وقد أراد أن يتكلم، فقال: ليتكلم من هو أسنُّ منك فإنه أحقُّ بالكلام منك، فقال الصبي: يا أمير، لو كان القول كما تقول لكان في المجلس هذا من هو أحق به منك. فقال عمر: صدقتَ فتكلّم.. فقال الغلام: يا أمير.. إنّا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي منّ علينا بك، ما قدمنا عليك رغبةً منا ولا رهبة منك، أما عدمُ الرغبة فقد أمنّا بك في

(١) اللسانيات والتواصل، رومان جاكبسون.

منازلنا، وأما عدم الرهبة فقد آمنا جورك بعدلك، فنحنُ وفدُ الشكر والسلام، فقال عمر: عظني يا غلام.. فقال الغلام: يا أمير .. إنّ أناساً غرّهم حلمُ الله وثناءُ الناس عليهم، فلا تكُن ممّن يغرّه حلمُ الله وثناءُ الناس عليه فتزلّ قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم: (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون)، فنظر عمر في سنّ الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة.

انظروا.. إلى العبارتين اللتين جاءتا على لسان الصبي رداً على عمر بالبديهة ودون تفكير مسبق.. هاتان العبارتان جديرتان بالاهتمام..

فأولاً: طلبَ عمرُ الكلام ممن هو أكبر منه سناً لأنه أحقّ بالكلام، فأجابه الغلام انه إذا كان المعيار هو السن فإن هناك من هو أحقُّ بالخلافة منك في هذا المجلس..

وثانياً: طلب عمر من الغلام أن يعظه، فوعظه موعظة ارتجالية تناسب مقامه.

سرعة البديهة

البَديهة في اللغة هي سَداد الرأي عند المفاجأة، وسرعة البديهة هي سرعة الشخص في التفكير والإدراك والرد، وتتضمن سرعة البديهة نقل الواقع الملموس بسرعةٍ إلى الدّماغ، والقدرة على الرّبط بشكلٍ سريع بين المعلومات السّابقة والواقع الملموس، وكذلك القدرة على اتّخاذ قرار مناسب بشكل سريع.[١]

والبديهة غير التسرّع في الكلام من دون دراية أو إدراك فذلك يؤدي بما يكون وبالاً على صاحبه، ويشير مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ضرورة وأهمية التروي والتفكير قبل الكلام بقوله: (الْكَلاَمُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً.)[٢] وقد امتدح الحكماء ذو التفكير المتأني بمقولة: (من تأنّى نال ما تمنّى).

يفرّق عبد الواحد الكبيسي في مقدمة كتابه (التفكير السريع أم المتأمّل) بين سرعة البديهة والتأمّل فيقول: ولكن ذلك إنما يكون في الأمور التي تحتاج إلى درس وتمحيص وتدقيق في الوقت المناسب بحيث لا يفوت أوانه أو

---

(١) الملكة الفقهية: حقيقتها وشروط اكتسابها وثمراتها، ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) نهج البلاغة: الحكم، الحكمة ٣٧٨.

بعبارة أخرى إذا كان الظرف مواتياً للتفكير أما إذا كان الظرف غير مناسب للتفكير بل وقد يكون التفكير يضيع فرصة لا تعوّض فإن السرعة في الإدراك ضرورية ولازمة للنجاح والارتقاء بل وقد تكون هذه اللحظة شرط من شروط النجاح.[١]

ومن أهم الأسباب التي تعمل على سرعة البديهة لدى الإنسان هي الاستمرار في القراءة، فالقراءة المستمرة وخزن المعلومات توسع من القدرات العقلية لدى الإنسان مما يجعله سريع البديهة وسريعاً في استحضار المعلومات المخزونة في الذهن.

(١) التفكير السريع أم المتأمل: ص٩.

مثالان في سرعة البديهة

وهنالك عدة أمثلة في سرعة البديهة وللاختصار أذكر مثالين عن ذلك:

١ ـ يروي السيد المرتضى (رضوان الله تعالى عليه) قال: «إنّ عقيلاً دخل على معاوية فقال: هذا عقيل عمه أبو لهب فقال له عقيل: وهذا معاوية عمّته حمّالة الحطب؛ لأنّ عمّته هي أم جميل بنت حرب بن أمية وكانت امرأة أبو لهب... وقال له يوماً: يا أبا يزيد[1] أين ترى عمّك أبو لهب؟ فقال له عقيل: إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشاً عمّتك حمالة الحطب».[2]

٢ ـ يروى أن أحد السلاطين العثمانيين أراد إحراج الحر العاملي (رضوان الله تعالى عليه) فدعاه إلى مجلسه وأمر حاشيته بملئ المجلس قبل مجيء العاملي حتى لا يَدَعوا له مكاناً للجلوس فيضطر للجلوس في نهاية المجلس، كل ذلك من أجل إهانة علماء الشيعة، وعندما دخل الحر العاملي المجلس وجده مكتضاً فتقدم وجلس جنباً إلى جنب الخليفة العثماني، فانزعج الخليفة من تجرُئه فقال له بصوت عالٍ: ما الفرق بين الحُرّ والحر؟

---

(١) وكان عقيل بن أبي طالب (رض) يكنّى بأبي يزيد.

(٢) الأمالي: ج١ ص١٩٩.

وكان يقصد بالخر هو الحمار باللغة الفارسية، فأجابه العاملي على الفور: هذه الوسادة، وكانت بينه وبين السلطان وسادة.

الثقة بالنفس والتغلب على الخجل

من مقومات الخطيب، الشجاعة والثقة بالنفس وقهر الشعور بالخوف بكثرة المران والتحضير الجيد والتأكد من الإعداد المناسب، يقول البروفيسور (روبنسون) في كتابه (صناعة العقل): إن الخوف ناتج عن الجهل وعدم التأكد.. إنه نتيجة لعدم الثقة بالنفس، فعندما يكون لديك سجلاً حافلاً بالتجارب، تتلاشى مخاوفك وتذوب..

وقد كتب الشاعر الروماني هوراس[1] منذ أكثر من ألفي عام، ما يلي: (لا تبحث عن الكلمات، ابحث فقط عن الحقيقة والفكرة، عندئذٍ تتدفق الكلمات من دون أن تسعى إليها).

فلابد من التخلّص من وهم إرضاء النّاس جميعاً فهذا الأمر صعب ويؤدي إلى التراجع مع الوقت، لذا يجب الحديث دون تخوّف من رأي النّاس.

وهنالك عدة طرق للتغلب على الخجل منها أن يحاول الفرد أن يتحدّث أمام مجموعة من النّاس بالتّدريج فيبدأ بالتحدث إلى شخصين ثمّ ثلاثة وهكذا سوف يعتاد على الحديث أمام مجموعة أكبر.

---

(١) كوينتس هوراتيوس فلاكس أو هوراس: كان شاعراً غنائياً وناقداً أدبياً لاتينياً من رومانيا القديمة في زمن أغسطس قيصر، توفي في سنة ٨ ق.م.

ومنها التدريس فهو مفتاح للخطابة أمام مجموعة كبيرة من الناس إذ أن طالب الحوزة يتدرج بذلك فيبدأ بالمباحثة أمام طالب أو طالبين ومن ثمّ يشعر أن له القدرة على تدريس كتابٍ ما فيشرع بتدريس مجموعة صغيرة من الطلبة، شيئاً فشيئاً يتغلب على خجله فيكون باستطاعته التحدث أمام مجموعة أكبر.

ولا ننسى أن حاجز الخجل يتلاشى بعد أول أو ثاني منبر يرتقيه الخطيب الحسيني ولذا نرى في معاهد الخطابة يطلب من الطالب ارتقاء المنبر أمام زملائه وعندما يتخرج من المعهد يكون جاهزاً للقراءة في المجالس الحسينية الكبيرة دون الشعور بالخجل.

ومنها قراءة القرآن الكريم ومقدمات الخطباء.

التغلب على التوتر

لاشك في صعوبة إلقاء الخطاب أو المحاضرة أمام عددٍ من الناس، إذ يكون الخطيب منشغلاً بفكرة أداء محاضرة متميزة، فيتولد لديه قدر كبير من الترقّب وينتابه شيء من الخوف أو القلق أو الارتباك، وهنالك عدة طرق مفيدة ومجرّبة لتهدئة الأعصاب والتخلص من التوتر والقلق:

١ ـ **الاستعانة بالله تعالى**: التعوذ بالله سبحانه وتعالى من الشيطان الرجيم والبسملة ثم قراءة الآيات المباركات: (... رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي)[١].

٢ ـ **الراحة الجسدية قبل الخطبة:** على الخطيب أن يحرص على الحصول على قسط وافر من النوم في الليل، وأن يكثر من شرب الماء، ولا يفرط في تناول الشاي والقهوة وكل ما يحتوي على الكافيين، لأنّ ذلك يسبب ارتفاع معدل نبضات القلب والذي يؤدي إلى القلق والتوتر[٢].

٣ ـ **الإيمان والتصديق بأن التوتر أمر طبيعي لدى كل إنسان:** يلزم الخطيب أولاً أن يدرك أن الشعور بالقلق أو التوتر قبل إلقاء الخطبة أمر

---

(١) سورة: طه.

(٢) راجع: جريدة الشرق الأوسط ، الكافيين.. واضطرابات إيقاع نبض القلب ، د. حسن محمد صندقجي، رقم العدد: ١٤٣٩٥.

طبيعي جداً، فقد تسيطر على الانسان ردة فعل غريزية يكون فيها متردداً بسبب التوتر بين التصدي للمخاطرة أو الهرب منها، ولكن على الخطيب بدل الهرب أن يلاحظ تلك الغريزة البشرية وأن يكون أكثر تقبلاً لحقيقة أن القلق جزء أساسي في التحدث أمام مجموعة من الناس.

٤ ـ **أسئلة القلق**: على الخطيب أن لا يركز على أسئلة القلق وتأنيب الذات (ماذا سيحصل لو فشلت؟ ماذا لو لم تسر الأمور على ما يرام؟ كيف سينظر الآخرين إليّ؟)، بل يحاول قدر الإمكان أن يتناسى تلك الأسئلة وأن يأخذ نفساً عميقاً ويركز في المحاضرة والخطبة فقط، ومادام الخطيب الحسيني يبدأ بالنعي فإنّ إغماض العينين لها تأثير واضح في تناسي أسئلة القلق التي تولد التوتر والخوف.

٥ ـ **حركة الرأس واليدين:** إنّ الثبات في الجلوس واستجماع القوة يزيد من الشعور بالثقة لدى الخطيب، لكن ذلك لا يعني أن يكون الخطيب جماداً ولا يحرك سوى شفتيه، فبالإضافة إلى تأثير حركة الرأس واليدين في شد الجمهور، تعمل هذه الحركات على التخلص من التوتر والارتباك.

احترام الجمهور

يجب أن يحترم الخطيب أولاً وقبل كل شيء وقت مستمعيه الذي جعلوه تحت تصرّفه، وهو أثمن شيء، يقول الإمام الحسين(عليه السلام): (يابن آدم، إنما أنت أيّام، كلما مضى يوم ذهب بعضك)[1].

وقال الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له: إنّ الحياة دقائقٌ وثوانِ[2]

فعلى الخطيب أن يبتعد عن المواضيع الجوفاء والكلام الذي لا طائل منه والتكرار الممل، يقول الشاعر القروي:

إذا لم تملوا من حديث مكرر أما ملّكم هذا الحديث المكرّرُ[3]

وكثيراً ما يحدث الخلل في قراءة الخطيب بسبب عدم التهيؤ والتحضير الكافي مما يدعو إلى إرباكه، فيحاول بذلك ان يختصر المجلس ولا يطيل لأجل أن لا يشعر الجمهور أن الخطيب وقع في الارتباك.

---

(١) إرشاد القلوب: ص٤٠.

(٢) كتاب: آداب النفس للسيد محمد العيناتي.

(٣) ديوان الشعر القروي، رشيد سليم الخوري.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب أن يحرص الخطيب على أن لا تصدر منه أية كلمة نابية تمس شعور الجمهور وتسبب تنفيرهم وقد قيل: رُبَّ كلامٍ أنقذ من سهام!!

وليضع الخطيب نصب عينيه وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) للمتقين بقوله (ومنطقهم الصواب)[1].

وأن لا يكثر من اللهجة العامية والدخول بالأمور السياسية أو غيرها التي هي قليلة الفائدة.

(١) خطبة الإمام علي (عليه السلام) في وصف المتقين. (نهج البلاغة)

الجرأة في الحق

الخطيب الحسيني يتصدى لرفع راية الحق ويعبر عن صوت الحق الذي نهض من أجله سيد الشهداء (عليه السلام)، لذا فهو لا يخشى أحداً إلاّ الله سبحانه (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله)[1].. فلا يخشى سلطات الكفر والظلم والجور ولا يخشى (أهل الأموال) و (عشاق الدنيا) و (الحسّاد)، ولا يسكت عن الحق مهما كان الثمن، فهو يحارب البدع ويتصدى للأفكار الهدامة والمنحرفة حاملاً روحه على يده مبتعداً عن كل مجاملة على حساب الحق والمبادئ والقيم ولا تأخذه في الله لومة لائم.

يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يمنعنّ أحدكم هيبة الناغس أن يقول الحق إذا رأه).[2]

إن الخطيب الحسيني ارتبط بمنبر سيد الإباء (عليه السلام) وعليه أن يدرك أن العزم على التضحية والفداء ونكران الذات هي من روح النهضة الحسينية..

---

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) كنز العمال: ح٥٥٦٧.

الفن الاجتماعي وتحمل الناس

لابد للخطيب أن يكون ناجحاً اجتماعياً، يشارك الناس أفراحهم وآلامهم ويعيش قضاياهم ويرفع صوتهم ويقضي حوائجهم ويتحمل أذى الجاهل منهم، يروى أن سعيد بن قيس الهمداني (رض) رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) يوماً في شدة الحر في فناء حائط، فقال: يا أمير المؤمنين، ما الذي أخرجك بهذه الساعة؟ قال: (ما خرجتُ إلاّ لأُعين مظلوماً، أو أُغيث ملهوفاً، ثم تلا (عليه السلام) قوله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً)[1])[2].

إن مسألة (الزيارات) وعيادة المرضى وتفقد المحتاجين و تشييع الجنائز وتنفيس كرب المؤمنين هي من الأعمال التي حثّ الإسلام عليها، وما أحسن الخطيب الحسيني الذي يقوم بكل هذه المهام إضافة إلى مهمته من على المنبر، فإن ذلك يقرّبه إلى الله تعالى وإلى قلوب الناس، ويجعل الناس

---

(١) سورة النساء، ال آية ١١٤.

(٢) الاختصاص: ١٥٧.

يحبون الله ورسوله وأهل البيت (عليهم السلام) أكثر، يقول إمامنا الرضا (عليه السلام): (رحم الله عبداً حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم).[١]

ولا أنسى ذلك الخطيب العظيم الذي كنتُ أراه يخرج في منتصف الليل ليقضي حوائج الناس ولا يعود إلى منزله إلاّ بعد الفجر..!![٢]

التفاعل

يجب أن يتفاعل الخطيب مع ما يتحدث عنه، حتى يشعر المستمع أن هناك رسالة موجهة من ذهن وقلب الخطيب إلى ذهنه وقلبه، ويتجسد فن الخطيب حينما يأخذ بمجامع الجمهور بحيث يجعلهم لا يشعرون بهذا الوقت الذي قضوه مع حديث الخطيب.. وهذا يحتاج إلى قابلية عظيمة وجهود حثيثة لذا تعتبر (الخطابة) من أصعب المهام، فقد قيل لعبد الملك بن مروان: أسرع إليك الشيب!! فقال: كيف لا، وأنا أعرض عقلي على الناس في كل اسبوع مرة.. يقصد في (خطبة الجمعة)، فكيف بالخطيب الحسيني الذي تصل

---

(١) ميزان الحكمة: ج٢، ص١٥٤٤.

(٢) يقصد السيد (رحمه الله) والده الخطيب الشهيد السيد جواد شبر (رحمه الله).

خطبهُ أحياناً إلى عدة مرات في الأسبوع الواحد ما عدا المناسبات الإسلامية التي تكثر فيها المجالس.

وفي مجال التأثير على الجمهور، يقول علماء النفس للخطيب: شدِّد على الكلمات المهمة.. اخفض الكلمات غير المهمة.. غيِّر طبقات صوتك.. غيِّر معدل سرعة صوتك.. توقف قبل وبعد الأفكار المهمّة..

يقول والتر. ب. ستفنز في كتابه (تقارير لنكولن): كان يقول عدة كلمات بسرعة عظيمة، وعندما يصل إلى الكلمة أو الجملة التي يرغب في التشديد عليها، يرفع صوته ببطء، ثم يندفع إلى آخر جملته كالبرق وأن يخلو كلامه من التكرار الممل والإيجاز المخل.

القابلية على استدرار الدمعة والعاطفة

الخطيب الحسيني يحتاج إلى صوت شجي ونبرات خاصة وفن في وصف (مأساة كربلاء) حتى يستطيع استدرار دموع جمهوره، وأن يكون بارعاً في ربط جانب المأساة بموضوعه الأصلي، فينتقل إلى (النعي) و هو مسترسل في كلامه من دون وضع حد لآخر الموضوع، وهذا ما يسمى عند خطباء المنبر الحسيني بالـ(كَريز)[1]، أي الرابط أو التخلص أو الانتقال من مطلب إلى آخر أثناء الكلام والربط الدقيق هذا، يحتاج إلى قدرة فنية وذوق سليم وسرعة بديهة وذكاء وفطنة ومطالعات كثيرة في كتب التاريخ والمقاتل، بالإضافة إلى الاستفادة من خبرات الخطباء المشهورين في هذا المجال.

وبالإضافة إلى ذلك يجب على الخطيب تعلّم مختلف أطوار النعي القديمة والحديثة حتى يستطيع إضفاء طابع الحزن والبكاء والدموع، روى الشيخ الصدوق في الأمالي، بإسناده عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: (من تذكر مصابنا، وبكى لما ارتكب منا وكان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر

(١) الكَريز: كلمة فارسية يراد منها الانتقال من مطلب إلى آخر أثناء الكلام. (انظر المعجم الذهبي)

مصابنا، فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون)[١]، وعليه فعلى الخطيب أن يراعي الطور المؤثر والحزين لدى السامعين.

الاهتمام بالمظهر الخارجي

لابد أن يعتني الخطيب بمظهره الخارجي من ناحية ملبسه ووجهه وشعره، فالملابس الأنيقة والمظهر الجذاب له الأثر في نفوس المستمعين والحضور، وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده)[٢] بعكس الذي يرتقي المنبر بملابس رثة وشعر أشعث وعمامة متهرئة، فلا يكون مؤثر في نفوسهم بل يكون منفراً وليس جاذباً ولاسيما إذا كان في ملبسه ما يلفت النظر سيشتغل الحاضرون بهذا الشيء ويتركون ما يقوله الخطيب.

---

(١) البحار: ج٤٤، ص٢٧٨.

(٢) الكافي: ج٦ ص٤٣٨.

الخطبة (القول)

من المفترض أن تكون الخطبة شاملة للجوانب الفكرية والعقائدية والاجتماعية والسياسية النابعة من كتاب الله العظيم وأحاديث الرسول الكريم وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهذا يحتاج إلى الاعتماد على المصادر الصحيحة في كتب التفسير والتاريخ والرجال والسيرة، ويجدر بالخطيب أن يهيّئ الموضوعات وينسّقها ويرتّبها أولاً قبل إلقائها من على المنبر الشريف، وهناك بعض الشروط لابد من توفّرها في موضوع الخطبة، ومن أهمها:

- وحدة الموضوع: وهو أن يدور الحديث حول العنوان المذكور في مقدمة المجلس، وإذا تشعّب الخطيب في كلامه إلى عدة موضوعات غير مترابطة، فهذا يحط من مستوى الخطبة والخطيب، ووحدة الموضوع تجعل المستمع أكثر ارتباطاً مع الخطيب وتكون له القدرة على حفظ الموضوع والاستفادة منه أما مع كثرة المواضيع فلا يحفظها ولا ينتفع بها.

- من أجل أن يكون الموضوع جذاباً وشيّقاً، فلابد من تطعيم الخطبة بالقصص الهادفة والأمثلة المتنوعة والأشعار المناسبة والحِكم الجميلة.

- أن يراعي الخطيب المقام من ناحية كثرة الحضور أو قلتهم والمناسبة من عزاء أو فرح أو أية مناسبة ما، فيأتي بخطبته منسجمة مع الجو السائد،

فلا يطيل في جو يستدعي الاختصار، ولا يُضحك مستمعيه في مجلس فاتحة أو حزن.. كما يجب عليه أن يلاحظ المستوى الثقافي للحضور فيتكلم بما يناسب، ولا بأس بذلك بعض النوادر المناسبة واللطائف الطريفة لإبعاد السأم والضجر، وقد قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم)[1]، وكل عمل إذا لم ينطلق من الواقع ومن الحاجة والوسط الذي يعيش فيه فهو عمل غير ناجح، فعلى الخطيب أن يختار اسلوباً يتماشى مع الواقع الذي يعيشه جمهور تلك المنطقة.

ـ البلاغة مطلوبة ومهمة جداً في الخطبة، وقد قال إمامنا الصادق (عليه السلام): (ثلاثة يستدل بهن على إصابة الرأي: حسن اللقاء وحسن الاستماع وحس الجواب، أما البلاغة فهي ليست بحدة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى وقصد الحجة)[2]، وسُئل (عليه السلام) عن البلاغة، فقال: (إنما سميَ البليغ لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه)[3] فعلى الخطيب أن

(١) نهج البلاغة، حكمة ٩١.

(٢) تحف العقول: ج١، ص٣١٢.

(٣) تحف العقول، ج١، ص٣٥٩.

يراعي هذه القواعد ويتمعن بها ويستفيد منها في مهمته، يقول الإمام علي (عليه السلام): (البلاغة ما سهل على المنطق وخفّ على الفطنة)[١].

وقال (عليه السلام): (أحسن الكلام ما لا تمجّه الآذان، ولا يتعب فهمه الأذهان) ولا ينسى الخطيب الحسيني أنه يملك تراثاً فريداً ذلك هو كتاب نهج البلاغة لسيد البلغاء والمتكلمين، القائل: (وإنا لأمراء الكلام)، وقد قال الشاعر:

لا عزو أن فخر البيان بحيدر فخطابه مجد له وعلاءُ
زان الخطابة في فصاحة لفظه وكذا الفصاحة زينة وبهاءُ
مجد الخطيب بأن يكون خطابه مثلاً به يستشهد الخطباءُ

ـ أن تشتمل الخطبة على الصور البطولية والمواقف المشرّفة لأنبياء الله ورسله وخاتمهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والصفوة المختارة من آل بيت الرسالة (عليهم السلام) وذكر سيرتهم وسيرة أصحابهم الذين ساروا على نهج الإسلام، و يجب التأكد من صحة المواقف المنسوبة إليهم، فإن الكثير من الروايات لا صحة لها، كما يجب على الخطيب أن يتسلح بالثقافة الواسعة لكي يستطيع رد

(١) غرر الحكم: ح١٨٨١.

الشبهات ويحلل تحليلاً علمياً دقيقاً بعض المواقف والأخبار حتى لا يفسد أذهان مستمعيه، والخطيب الناجح هو من له القابلية على ربط الأحداث التاريخية بواقعنا المعاصر والمقارنة بين الوقائع المختلفة.

يقول الشيخ محمد جواد مغنية (رحمه الله): لابد أن يكون للخطيب ثقافة واسعة، ومعرفة تامة بما يقع من الحوادث في الشرق والغرب، لأن الأرض في عصرنا أصبحت كالبيت الواحد يتأثر جميع سكانه بما يحدث في أي جزء من أجزائه، فإذا لم يتصل عقل الخطيب بالعقول الكبيرة، القديمة والحديثة تعذر عليه تمييز الخطأ من الصواب، ووضع الأمور في نصابها، وأي خطيب لا يجد السامع نفسه في كلامه فهو كمن يتكلم عن الطب وتاريخه، ويعجز عن تشخيص الداء[1]، وان يكون ما يطرحهُ على المنبر مستنداً إلى المصادر الموثوقة مع غض النظر عن سند الرواية أو الحادثة لأن التاريخ لا يراعي السند كما يراعى بالفقه ولا بأس بمراجعة كتاب (الصحيح من مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه) لمعرفة المصادر المعتمدة وغير المعتمدة في واقعة كربلاء.

---

(١) ثورة الحسين (عليه السلام) في الوجدان الشعبي، ص٣١٠.

كتابة المحاضرة

١ ـ **اختيار العنوان:** وهي مسألة مهمة للمحاضر، فاختيار المحاضرة راجع إلى ذوق وسليقة الكاتب، لذا يجب عليه أن يفكّر كثيراً في مسألة الاختيار، وقد تكون أحياناً صعبة لأن كل عمل إذا لم ينطلق من الواقع ومن الحاجة والوسط الذي يعيش فيه فهو عمل غير ناجح، فعلى الخطيب أو المحاضر أن يختار عنواناً وإسلوباً مناسباً.

٢ ـ **التسلسل المنطقي:** والتسلسل المنطقي هو في عرض الموضوع، وربط عناصره بإسلوب فني وجذّاب، بحيث لا يمل السامع.

٣ ـ **وحدة الموضوع:** إن مسألة وحدة الموضوع مسألة مهمة للغاية، وهو أن يدور الحديث حول العنوان المذكور في مقدمة المحاضرة، وأما إذا تشعّب الخطيب في كلامه إلى عدة موضوعات غير مترابطة، فهذا يحطّ من مستوى الخطبة أو المحاضرة والخطيب.

٤ ـ **المصادر الصحيحة:** أن يعتمد المحاضر في إعداد محاضرته على المصادر الصحيحة في كتب التفسير والتاريخ والرجال والسيرة وغيرها، وتجنُّب الاعتماد على كل ما يُقال ويُسمع.

٥ ـ **تطعيم المحاضرة بالقصص والأمثال والحكم:** ومن أجل أن يكون الموضوع جذاباً وشيّقاً، فلابد من تطعيم المحاضرة بالقصص الهادفة والأمثلة المتنوعة والأشعار المناسبة والحكم الجميلة.

٦ ـ **مراعاة عدد الحضور وثقافاتهم:** ولابد للخطيب الحسيني أن يُراعي المقام من ناحية: أ. كثرة الحضور أو قلّتهم. ب. مستوى الحضور الثقافي.

٧ ـ **ذكر النوادر:** ولا بأسَ بذكر بعض النوادر المناسبة من أجل إبعاد السأم والضجر، فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن هذه القلوب تمل كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم).[1]

٨ ـ **البلاغة:** والبلاغة مطلوبة في المحاضرة، بل هي مهمة جداً، وقد قال إمامنا الصادق (عليه السلام): (إنما سُمّيَ البليغُ لأنه يبلغُ حاجته بأهون سعيه).[2]

٩ ـ **ربط الأحداث:** التفنن بربط الأحداث التاريخية بواقعنا المعاصر والمقارنة بين الوقائع المختلفة، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: (لابد أن تكون للخطيب ثقافة واسعة ومعرفة تامة بما يقعُ من الحدواث في الشرق

---

(١) نهج البلاغة: الحكم، الحكمة ٨٨.

(٢) تحف العقول، ج١، ص٣٥٩.

والغرب)، وذلك حتى يشعر المستمع أن الخطيب يعيش هموم المجتمع الذي ينتسب إليه وليس بعيداً عنهم، ويناقش همومهم ومشاكلهم ويساعد على حلها.

١٠ ـ **الابتعاد عن التعقيد:** ينبغي على الخطيب أن يبتعد عن التعقيد اللفظي والمعنوي في محاضراته لأن الغرض هو التوضيح وليس التعقيد ولا يتم ذلك إلاّ بالابتعاد عن التعقيد.

الاهتمام الخاص بالمرأة في المحاضرة

من الضروري أن يعطي الخطيب اهتماماً خاصاً في محاضراته للمرأة، فللمرأة الرسالية دور حضاري على مر التاريخ وخصوصاً في بداية الدعوة الإسلامية ومن ثم الدور المشرّف للنساء المجاهدات في كربلاء، وللعلاّمة شمس الدين رأي في هذه المسألة حيث يقول: على الخطيب أن يظهر دور المرأة في كربلاء بصورة أجلى مما يحدث الآن، فإن الذي يحدث الآن يتميّز بظاهرتين:

الأولى: هي تسليط الأضواء على بعض النسوة فقط (السيدة زينب، السيدة سكينة، السيدة الرباب) ويهمل غيرهنّ إهمالاً تاماً، أو يرد ذكرهنّ عرضاً.

الثانية: ان الحضور النسوي في المأتم الحسيني حضور عاطفي محض، فإن الحديث عن المرأة في كربلاء يوجّه لخدمة الهدف العاطفي لا لخدمة الهدف التربوي.

ويضيف سماحة الشيخ قائلاً: ونحن ندرك أن مادة الحديث عن المرأة في كربلاء تحتاج إلى أبحاث تاريخية واسعة النطاق، لم تبذل حتى الآن، وتجمع كل الأخبار المتعلقة بهذا الموضوع وبغيره من شؤون المأتم الحسيني، وهو بحث كان يجب أن يكون قد أنجز منذ قرون بالنسبة إلى مؤسسة بلغت من العمر ثلاثة عشر قرناً، وإذا لم يكن قد أنجز في الماضي فيجب أن ينجز الآن بجهود المهتمين بشؤون المأتم الحسيني من الباحثين، ويمكن أن يشارك في هذه المهمة نخبة خطباء المنبر الحسيني الذين نعرف أنهم أهل للقيام بهذه الأبحاث.[1]

ولتطوير المأتم الحسيني النسائي، يقترح الشيخ شمس الدين:

---

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٣١٠.

١ ـ حثّ فريق من المتعلّمات على أن ينصرفن إلى هذه المهمة، وذلك بحفظ الأشعار المناسبة، وتاريخ الثورة الحسينية، وقدر مناسب من التاريخ العام، مع ثقافة إسلامية وقرآنية تؤهلهن لممارسة خطابة المنبر الحسيني النسائي بنحو يجعل من المأتم النسائي مناسبة قادرة على اجتذاب المتعلّمات وأشباههنّ.

٢ ـ أن يشارك النساء في حضور المآتم الحسينية المخصصة للرجال فإن المنبر الحسيني لا يختص فائدته الروحية والتوجيهية بالرجال وحدهم، ومشاركة النساء في هذه المآتم يوسّع من دائرة تأثيرها، ويتيح لفريق من النساء فوائد دينية وثقافية لا تتاح لهن في مآتمهنّ الخاصة.

ولا يبدو لنا أن ثمة ما يحول دون مشاركة النساء للرجال في مأتم حسيني موحّد سوى الاختلاط، وهذا أمر يمكن التغلّب عليه بتغيير بسيط في أبنية الحسينيات والقاعات العامة التي تعقد فيها المآتم الحسينية، بحيث تحول دون الاختلاط وتحقق المشاركة في المآتم، ووسائل الإذاعة والبث الكهربائية الحديثة تجعل أمراً من هذا القبيل سهلاً وميسوراً.

العناية الخاصة بالشباب

ينبغي للخطيب الحسيني أن يولي طبقة الشباب اهتماماً خاصاً، فالطاقات المتوهّجة في الشباب يجب أن يعمل المبلغ الديني على استثمارها، والتطلّعات المستمرة لديهم يجب أن يعمل الخطيب الحسيني على إشباعها، وهكذا يتعيّن التطرّق في المحاضرة على الأمور الثقافية العامة والرياضية، والميدانية، والإعلامية، والفنّية، وبالطبع كل ذلك داخل الإطار الإسلامي والشرعي، فإذن لابد من استحداث محاضرات خاصة بذلك، أو توظيف تلك الأمور في المحاضرة والمجلس الحسيني، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) وهو يتحدث مع أصحابه في مجال التبليغ وإقبال الناس على التشيّع ومعرفة أهل البيت (عليهم السلام).

يقول له (عليه السلام): (كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخولهم فيه؟ فقال: والله إنهم لقليل، ولقد فعلوا ذلك وأن ذلك لقليل، فقال (عليه السلام): عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير).[1]

وفي ضوء ذلك يجب أن يتوجه الخطيب الحسيني والمبلغ الديني بالتفقد والسؤال وإبداء المحبّة والرعاية الخاصة للصغار الذين يلتقي بهم في المسجد، والشارع، والمدرسة حيث يكسب ودّهم ويكون لهم أباً ومعلّماً محبوباً.

---

(١) شرح أصول الكافي، ج١٢ ص٨.

المستمع (الجمهور)

الجمهور هم أساس العمل والحركة، ولو أحسن المحاضر أو الخطيب استثماره في مجال الدعوة إلى الله لاستطاع أن يكوّن منهم قاعدة إسلامية تملك من الصلابة والقوة والاخلاص والمثابرة والحماس ما يعزّ وجوده في أي قطاع آخر من قطاعات المجتمع، خصوصاً الجمهور الحسيني، هذا الجمهور الذي يقول عنه الشيخ مغنية (رحمه الله): إن جماهير منبر الحسين لا يحلم بها كاتب ومؤلف، وهو سلاح له خطره ومضاؤه في محاربة الباطل وأهله، والزندقة والإلحاد، لأن الهدف من هذا المنبر أن يبث في الناس روح الحسين، حتى إذا رأوا باطلاً قاوموه وحقاً ناصروه، ومن هنا كان العبء ثقيلاً على خطباء هذا المنبر الخطير إلاّ على الأكفاء منهم.. والحق أن بعضهم أدوا المهمة على وجهها، واهتدى بهم الكثير من الشباب إلى سواء السبيل ولكن هؤلاء –وللأسف قليلون جداً –.[1]

ولكي يحافظ المحاضر أو الخطيب على سلامة الجماهير يجب أن يُشعرها دائماً وبمختلف الوسائل انه جزء من كيانها، وانه يعيش حاجاتها ومشاعرها وأحاسيسها، بل انه لسانها الصادق.

---

(١) موسوعة أدب الطف، ج١، ص١٥.

ان الوحدة الذهنية ووحدة الأفُق العاطفي والفكري، ووحدة الحاجات بين المحاضر أو الخطيب الحسيني والجماهير، تجعلهما جزئين لا يتجزءان من وحدة رسالية، لا يفصل بينهما شيء.

فالجماهير بطبيعتها، لا تخضع للخطيب ولا تستسلم له، ما لم تشعر بوضوح أن شخصية خطيبها مندمجة معها فكرياً وعاطفياً تحسّ أحاسيسها، وتشعر مشاعرها، وتلمسُ حاجاتها، من قريب، ولذلك فالقيادات الفكرية التي تعيش في الأبراج العاجية ولا تنزل إلى مستوى السوق والشارع، ولا تعايش الناس، في مذاهبهم في الحياة، لا تكون ناجحة في أداء مهمتها القيادية[1] وفي مقابل ذلك يجب على الجمهور أن يعرف قيمة المحاضر أو الخطيب أو المعلم فيؤدي له حقوقه، ومن حقوق الخطيب المعلم على الناس: احترامه والاستفادة منه وإكرامه والتفكير في صيانته ومعيشته وتقدير جهوده وأتعابه المضنية، يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في حق المعلم: ومن حقه عليك التعظيمُ له والتوقيرُ لمجلسه وحُسنُ الاستماعِ إليه والاقبالُ عليه والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم، بأن تُفرّغَ له عقلك وتحضره فهمك وتُذكي له قلبك وتُجلي له بصرك بترك الملذّات

(١) سلسلة من هدى الإسلام ٨، الصادرة في النجف الأشرف سنة ١٩٦٦ ص٥٨.

ونقصِ الشهواتِ، ولا ترفع في وجهه صوتك، ولا تجيبُ أحداً حتى يكون هو الذي يجيب ولا تحدث في مجلسه أحداً وأن تدافع عنه إذا ذكر عندك بسوء وتستر عيوبه وتُظهر مناقبه ولا تجالس له عدواً ولا تُعادي له ولياً.(١)

وإذا عرف الخطيب حق مستمعيه وهم عرفوا حقه تعمرُ المجالس الحسينية، التي يباهي بها الله ملائكته، وقد ترحم أئمتنا (عليهم السلام) على من أقامها وشيّد دعائمها، والروايات الواردة في ذلك كثيرة جداً.

يقول إمامنا الباقر (عليه السلام): (إذا جلست إلى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه).(٢)

ومن وصية إمامنا الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم: (يا هشام ان لله على الناس حجّتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرُسُل والأنبياء والأئمة وأما الباطنة فالعقول)(٣)..

إذن فمهمة الحجة الظاهرة هي ابلاغ الناس بالأوامر الإلهية ووضعهم أمام مسؤولياتهم، أما العقول وهي الحجة الباطنة فواجبها دراسة الحجة

---

(١) من رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام).

(٢) البحار: ج ١، ص ٦٨.

(٣) الكافي: ج١، ص١٦.

الظاهرة والتحقيق فيها لتدعو الناس إلى المثول والطاعة وإرساء أساس السعادة بعد أن تتيقن بصحة تلك الحجة وإصالتها.

وحاسة السمع لدى الإنسان هي وسيلة ارتباط هاتين الحجتين الإلهيتين مع بعضهما، فإذا ازدان يقف على عمق التعاليم السماوية ويسلك طريق السعادة، فعليه أن يستمع بكل وجوده وبدقة تامة إلى كلام الحجج الظاهرة ونقله إلى الحجة الباطنة أي العقل بلا زيادة أو نقصان ليهتدي بهدى المرسلين والأنبياء والأئمة والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء ونواب الإمام المعصوم (عليه السلام).

إذن يجب على المستمع أو الطالب كعيّنات من (هذا الجمهور) أن يستمع بوعي وانفتاح ذهن، وعرض ما يسمعه على العقل.. لا أن يكون مستمعاً شارد الذهن.. حيث القلب لا ينتفعُ من أقوال هُداة الحق.. (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)[1] (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

(١) الأنفال: ٢٢.

آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)[١] (وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا)[٢].

إنّ اللامبالاة عند الأشخاص الميتة قلوبهم والجافة نفسوهم.. تحزُّ في نفوس العلماء والمبلّغين الرساليين والمعلمين المخلصين والقادة الإلهيين.

حضر عند الإمام الباقر (عليه السلام) ذات يوم جماعة تزعم أنها من الشيعة، فوعظهم وحذّرهم وهم ساهون ـ لاهون ـ فأغاضه ذلك فاطرق ملياً ثم رفع رأسه إليهم فقال: إن كلامي لو وقع طرف منه في قلب أحدكم لصار ميتاً، ألا يا أشباحاً بلا أرواح وذباباً بلا مصباح كأنكم خشبٌ مسندة وأصنامٌ مربّدة ألا تأخذون الذهب من الحجر؟ ألا تقتبسون الأضياء من النور الأزهر؟ ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر؟ خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها فإن الله يقول: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ)[٣].[٤]

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) الإسراء: ٧٢.

(٣) الزمر: ١٨.

(٤) تحف العقول: ص٢١٢.

مراعاة مقتضى الحال

ومن المسائل المهمة التي يجب أن يلتفت إليها الخطيب الحسيني هي القدرة على مراعاة مقتضى الحال، وهي لبّ الخطابة كما يقولون وروحها.. فلكل مقام مقال، ولكل جماعة من الناس لسان تُخاطَبُ به.. وعلى نحو المثال لا يجوز التطرق للذنوب الكبائر مثل الزنا وشرب الخمر وغيرهما في مجلس أغلب من يحضره هم من العلماء والفقهاء، ولا يمكن التعمّق في مسائل علمية بحتة في مجلس يرتاده البسطاء من الناس، وهكذا.

وكما لا يمكن أن تلقي خطاباً هادئاً في جمع من الثائرين للقضية الحسينية وفي وقت يتطلب منك أن تكون أكثر حماساً، نعم في بعض الأحيان عليك التخاطب بهدوء مع جماعة مفجوعة لتكون برداً وسلاماً على القلوب، فمثلاً في مجالس العزاء أو الفاتحة عليك أن تهدّئ النفوس وتُصبّرهم على البلاء الذي حلّ بهم، بالآيات والروايات، لا أن تزيد من فاجعتهم، وأن تبين لهم مصائب أهل البيت (عليهم السلام) التي هي أعظم من كل المصائب لتهدئ من روعهم.

أَنْسَتْ رزيتُكُم رزايانا التي ... سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

وفجائعُ الأيامِ تبقى مدّة ... وتزولُ وهي إلى القيامةِ باقية[1]

---

(١) الشيخ محمد علي الأعسم (رحمه الله).

استعداد الخطيب لطلب الحضور

كثيراً ما أصعد المنبر وفور صعودي يطلب مني المشرف على المجلس، ـ إنما أقول المشرف ولم أقل (صاحب المجلس) كما يسمّيه البعض، لأن صاحب المجلس هو أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) ـ أن أذكر المصيبة الفلانية هذه الليلة، مع العلم أنني قد أعددت ذكر مصيبة أخرى، بما يناسب الزمان والمكان، فمثلاً كنتُ أقرأ لأحد العلماء لمدة ثلاث ليالي وكانت المناسبة استشهاد الزهراء (عليها السلام)، والإعداد طبعاً يكون عن مظلوميتها ومصيبتها (عليها السلام)، وفور صعودي المنبر، همس هذا العالم في أذني: (أريد أن تذكر مصيبة الطفل الرضيع)..

هذه الأمور محرجة للخطيب وعادة ما تخلّ بأدائه، لذلك يحتاج الخطيب إلى تعب وجهد وفن، والله هو المسدِّد.. وأتذكّر أن نفس هذا العالم الذي كنت أقرأ له، في الليلة الثانية وفور صعودي المنبر والمناسبة كانت ـ كما قلت ـ استشهاد الزهراء (عليها السلام)، وكان الحضور الجماهيري الغفير، همس العالم في أذني قائلاً: (أريد أن تذكر مصيبة العباس (عليه السلام))، وبحمد الله جمعت بين ذكر مصيبة الزهراء وذكر أبي الفضل العباس لأنني كنتُ قد حفظت من قبل (كَريزاً) رائعاً في هذا الشأن..

وكثيراً ما أذهب لحضور بعض المجالس للاستماع أو لأجل كسب الثواب من المشاركة في هذه الاجتماعات التي عبر عنها رسول الله (ﷺ) بقوله: (إذا رأيتم روضة من رياض الجنة فارتعوا فيها)[1] فهي يسمّيها النبي (ﷺ) بروضة من رياض الجنة، وكثيراً ما أحضر هذه المجالس وأُفاجأ بالمشرف على المجلس أو صاحب الدار، أو الحضور يدعونني للقراءة من دون سابق إنذار أو تكليف من قبل، وذلك بسبب تأخّر الخطيب المُكلَّف بالقراءة، أو أن البعض منهم لا يكلّف خطباء من قبل، وإنما كلّ من يدخل المجلس من الخطباء يكلّفه بالقراءة.. وهذه المسألة تُحرج الخطيب، لأنه لم يتهيأ للقراءة، لذا على الخطيب أن يكون مهيأً قدر المستطاع وأن يكون حافظاً للأشعار والقصائد في أهل البيت ولجميع المناسبات وأن يكون كذلك حافظاً لتواريخ ولاداتهم واستشهادهم وحادثة مصابهم بشكل دقيق.

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٤، ص٢٥٣.

الآفات التي يجب أن يتجنبها الخطيب

١ ـ **نقل المسموع:** مثال الخطيب أو المحاضر في المجتمع كسائر الناس، فقد يسمع من هذا وذاك أحياناً أموراً يرى إن بعضها لا يخلو من الطرافة والجاذبية، فتحدوه رغبة في ادراج بعض ما سمعه في خطبته أو محاضرته، والاستشهاد به فهل هي صحيحة هذه الطريقة؟ وماذا يقول عنها أهل البيت (عليهم السلام)؟!

يجيبنا نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): (كفى بالمرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع)[١] ويجيبنا أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذا السؤال في رسالة كتبها إلى الحارث الهمداني (لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِباً، وَ لَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلاً)[٢] وعنه (عليه السلام): (لا تحدث الناس بكل ما تسمع، فكفى بذلك خرقاً)[٣].

فإذا تجاهل المتحدث هذه النصائح الحكيمة غروراً منه، وقال للناس كلاماً سمعه دون تحفّظ، فإنه سيفقد بعد فترةٍ قيمة كلامه ويُرمى بالكذب وعلى المرء الحريص على حفظ كرامته وعزه الاجتماعي ان يتجنب التحدث

---

(١) كنز العمال: ٨٢٠٨.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٥٩.

(٣) غرر الحكم: ٩٣٢٧.

فيما سمعه مما يحتمل فيه الكذب ومما لا يصدَّق، لكي لا يجعل من نفسه عرضة لاتهام الآخرين، يقول (عليه السلام): (لا تُحَدِّث بِما تَخافُ تَكذيبَهُ)[1]..

وعلى هذا، فإن مراعاة هذا الواجب العقلي هو ضرورة لازمة لعامة الناس وأكثر ضرورة للمحاضر أو الخطيب البارع.

وبعض الخطباء يتشبث بغرائب المسموعات التي ينقلها إلى جمهوره حتى ينفرد بها ويُشار إليه بالبنان.. لكنه ينسى بأنه سيصبح موضع سخرية واتهام لتكذيب العقلاء له ولها.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (من طال لسانه وحسُن بيانه فليترك التحدث بغرائب ما سمع).

٢ ـ **الحديث اللاموزون:** ومن آفات الخطيب أو المحاضر والسبب الذي يثير المستمع لانكار أقوال الخطيب أو المحاضر ويفتح فاه محتجاً عليها هو الحديث اللاموزون.. وإليكم هذا المثال التاريخي:

كان عبيدة بن الزبير والياً على المدينة من قبل أخيه عبد الله، ويوماً قال في إحدى خطبه موجهاً كلامه إلى الناس، لابد أنكم سمعتم ما فعل الله بقوم صالح من أجل ناقة قيمتها خمسمائة درهم وكيف عذّبهم عليها، ـ

---

(١) غرر الحكم: ١٠١٧٣.

ويقصد بالناقة ناقة صالح التي كانت من آيات الله الكبرى ومعجزة صالح - وقد أطلق عليها تبارك وتعالى في القرآن (ناقة الله) فتعقّبها القوم وقتلوها..

لقد قيَّم عبيدة بن الزبير هذا الأثر الإلهي المقدس بخمسمائة درهم، وقلّلَ من أهمية الناقة، مما أنكر عليه المستمعون هذا الأمر واحتجوا عليه ولقبوه بـ(مقوم الناقة) وانتشر هذا اللقب بين العامة في المدينة التي أخذت تسخر من الوالي بهذا اللقب فاضطر عبد الله إلى عزله عن الولاية، وتنصيب أخيه الآخر مصعب مكانه.

وكانت العبارة غير الموزونة التي ذكرها الوالي السابق هي السبب في كل ما حصل..

وذكر العدد والرقم من قبل الخطيب أو المحاضر ربما يؤدي أحياناً إلى (الإحباط) في نظر الجمهور، وعلى فرض المثال: قتل ٤٠٠٠ غير الجرحى! فينبغي إذن تجنب ذكر الأعداد والاكتفاء بـ (جمع كبير) أو (جمع هائل) مثلاً، دون تحديد الرقم.

٣ - **ترك التمرين من قبل المحاضر أو الخطيب**: وهذا خطأ جسيم فيجب على المحاضر ولكي يسيطر على أداء الكلمات وتركيب الجمل أن يضع لنفسه برنامجاً للتمرين، ويتحدث كل يوم حول واحدة من الآيات أو الروايات أو إحدى الوقائع لعدة مرات وبعبارات مختلفة، وليكن مستمعو

حديثه اثنين من أصدقائه، والأحرى به أن يسجّل أحاديثه على (أشرطة) ثم يستمع إليها ليقف على نقائض أقواله.. ويتجنبها في المرات القادمة.. إذا استمر على هذا فبمرور الوقت يصبح الكلام له ملكة نفسية تستقر في جوهر ذاته.. وعندئذ يستطيع أن يتحدث بسهولة وفي حدود معلوماته حول أي موضوع يشاء، من دون عناء أو تكلّف.

يروي المؤرخ (بلوتارك) أن الخطيب الاغريقي الشهير (ديموستيني) شيَّد لنفسه حجرة تحت الأرض كان ينفرد فيها ليتمرن على الخطابة، وكان يقف أمام المرآة ليختبر الإشارات المناسبة وقت الإلقاء، وكان يضع الحصى في فمه وهو يتكلم ليحل عقدة لسانه، ويصعد الجبل عدوا وهو ينشد أبياتاً من الشعر بصوت مرتفع، أو يقف على ساحل البحر ويرفع صوته بالكلام حتى يطغي على هدير الأمواج، وكان يحلق نصف رأسه ليرغم نفسه على ملازمة حجرته الشهر والشهرين لا يرى الناس منقطعاً إلى دراسته وتمرينه، وبعد سنوات من هذه الرياضة الشاقة تكلل جهاده بالنجاح، ولم يعد يخشى الجمهور، فلما ارتقى بعد ذلك منبر الخطابة ملك الأسماع والقلوب، ولم يلبث أن أصبح خطيب الجمعية الوطنية، بل خطيب أثينا الأعظم.[1]

(١) خطباء صنعوا التاريخ: ص٨ ـ ٩.

فلابد للذي ينوي السباحة في مسبح واسع كبير أو في البحر، أن يتمرن أولاً في أحواض صغيرة غير عميقة ليتعلم فنون السباحة و يثق بقدرته على هذا اللون من الرياضة، ثم يحق له بعد ذلك من دخول أحواض السباحة الكبيرة وقطعها طولاً وعرضاً دون أن يهدد سلامته شيء.

وإلقاء الخطب في المجالس الكبيرة التي يحضرها مئات الأشخاص ويتابعها الآلاف عبر الاذاعة والتلفزيون من مختلف الفئات يماثل السباحة في الأحواض الكبيرة والبحار، فمن ينوي ارتقاء منابر الخطابة في مثل تلك المجالس عليه أن يتمرن على هذا الفن في أجواء أصغر ليمسك بالمفردات والجمل.

مثال آخر: الطالب الذي ينوي الاشتراك في الامتحانات النهائية للدراسة الاعدادية يُفترض أن يخصص من وقته المحدد شهوراً عديدة للتهيؤ والاستعداد والدراسة وحل التمارين والمباحثة.. أما لو امضى هذه الفترة بالبطالة وقال: إن لي أملاً كبيراً بالنجاح فإنه سيقع أخيراً في الخوف المحقق أو (الخوف الصادق) كما يسميه الإمام الباقر (عليه السلام) في وصيته لجابر: (إياك والرجاء الكاذب فإنه يوقعك في الخوف الصادق).[1]

(١) البحار: ج٧٨، ص ١٦٤.

٤ ـ **الكلمات المستهجنة:** هناك من المتحدثين والمتكلمين يذكر بعض المفردات القبيحة والألفاظ الشائنة خلال خطابه أو محاضرته بحيث تنافي الأدب والأخلاق، فيشمئز المستمع منه، ومهما بلغ الخطيب من الاقتدار والفصاحة، فإن مثل هذه الكلمات تقلّل من قَدَرِهِ ومكانته الاجتماعية وتبعد عنه كرام الناس.

كما أن هنالك (خطباء) يخافون الناس من لسانهم، فلأي حادثة تحدث بينك وبينه فهو يصعد المنبر ويُشهِّر بك بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ولسانُ هذا يُخيف الكثيرين من أبناء المجتمع، يقول(صلى الله عليه وآله وسلم): (يا علي من خاف الناسُ من لسانه فهو من أهل النار)[١] وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ويل لمن أُكرم مخافة شرِّه)[٢].

مع الأسف يستخدم هذه النعمة التي وهبها الله تعالى له وهي فصاحة الكلام وطلاقة اللسان يستخدمها في التسقيط والتشهير والمعاصي والله تعالى يقول: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ..)[٣].

---

(١) البحار: ج٧٤، ص٤٦.

(٢) مجموعة ورام: ج٢، ص١١٥.

(٣) النحل: ١٢٥.

فليأخذهم بالرفق في القول، ولكن لا يسايرهم فيما لا يراضاه الدين، بل يصدع بالحق ولا يرجو لغيره وقاراً لا يداهنُ ولا يجامل على حساب المبادئ والقيم والعقيدة.. مثل بعض الخطباء على المنبر، نجدهم عندما يدخل بعض الشخصيات التي لا يؤمنُ بهم، لكنه يسارع إلى إطرائه ومدحه والثناء عليه.. وعلى عكس هؤلاء، هنالك بعض الخطباء الذين يتمتعون بشجاعة والذين يستغلون الموقف لذم الطغاة، فيُنقل أن المرحوم السيد صالح الحلي كان يقرأ عند الشيخ خزعل الكعبي أمير المحمرة في أيام عاشوراء، وكان يتحدث حول قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) ثم وصل إلى ابن زياد، فقال: من أراد أن ينظر إلى وجه عبيد الله فلينظر إلى الشيخ خزعل!!

٥ ـ الأخطاء النحوية والبلاغية: ان يتجنب الخطيب الحسيني الأخطاء النحوية والبلاغية واستعمال الألفاظ العامية الدارجة واجتناب نقل الأحاديث والآيات بالمعنى بل يتعين حفظها دقيقاً ومن دون أخطاء.

وصايا للخطباء

- لا تتحدث عندما تكون متعباً، استرح، استعد قوّتك.
- اقتصد في طعامك قبل أن تتحدث.
- لا تفعل شيئاً يبدد نشاطك، فاجتذاب الناس مسألة مهمة، وهم يحتشدون عادة حول الخطيب النشط.
- احشد مُستمعيك بعضهم إلى بعض، فلا يمكن التأثير بسهولة على مجموعة متفرقة ومبعثرة.
- ليكن حديثك ودّياً، وابتعد ما أمكن عن (الرسميات)..
- استطلع آراء جمهورك واعرف اقتراحاتهم حول (خطابتك)، واستفد من ملاحظاتهم في خطبك القادمة.
- لا تكثر الكلام حول موضوع لا فائدة فيه.
- استخدم الكلمات الواضحة والجميلة.
- الصمت قليلاً إذا دخلت شخصية علمية معروفة.
- لا تكثر المزاح أثناء المحاضرة، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه ومهابة الرجل).[1]

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٦٥.

الختام

ليسأل كل خطيب (من خطباء المنبر الحسيني) نفسه هذا السؤال: هل انعكس شيءٌ من إشراقات الحسين (عليه السلام) وروحه في نفوسنا، نحن الذين نهتف باسمه ليل نهار، ونلهج به من على المنابر ونعلّم الناس سيرته وثورته ونحيي ذكراه ونحتفل بها ونقيم المآتم، ونعيش على اسمه الشريف؟

إن الحسيني حقاً من يؤثر الدين على نفسه وهواه، ويضحّي بالجميع من أجله، تماماً كما فعل الحسين (عليه السلام).

أما من يكيّف الدين والمذهب على أهوائه، فهو ممّن يذمّه الحسين (عليه السلام) بقوله: (النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَ الدِّينُ لَعِقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون).[1]

وأخيراً ندعو الله سبحانه وتعالى بدعاء الإمام الباقر (عليه السلام): (اَللّهُمّ ارْزُقْني شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ وَثَبِّتْ لي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَاَصْحابِ الْحُسَيْنِ اَلَّذينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)).[2]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) البحار: ج٤٤، ص٣٨٢.

(٢) زيارة عاشوراء.

الفهرس

كلمة لابدّ منها ٥
توطئة ٧
تربية النفس ١٣
أعلى درجات الإخلاص ٢١
الورع والتقوى ٢٣
عدم اتباع الهوى ٢٩
الابتعاد عن حب الدنيا والحذر من العجب ٣٣
العلم ٣٧
هدف طلب العلم ٤٣
فن الخطابة ٤٥
الخطيب ٥١
الاستعداد الفطري والامكانات الذاتية ٥١
الفصاحة وفن الإلقاء ٥٣
اكتساب فصاحة اللسان ٥٥
طرق اكتساب الفصاحة ٥٦
قصة في الفصاحة ٥٧

سرعة البديهة ٥٩
مثالان في سرعة البديهة ٦١
الثقة بالنفس والتغلب على الخجل ٦٣
التغلب على التوتر ٦٥
احترام الجمهور ٦٧
الجرأة في الحق ٦٩
الفن الاجتماعي وتحمّل الناس ٧٠
التفاعل ٧١
القابلية على استدرار الدمعة والعاطفة ٧٣
الاهتمام بالمظهر الخارجي ٧٤
الخطبة (القول) ٧٥
كتابة المحاضرة ٧٩
الاهتمام الخاص بالمرأة في المحاضرة ٨١
العناية الخاصة بالشباب ٨٥
المستمع (الجمهور) ٨٧
مراعاة مقتضى الحال ٩٣
استعداد الخطيب لطلب الحضور ٩٤

الآفات التي يجب أن يتجنبها الخطيب ٩٧
وصايا للخطباء ١٠٥
الختمام ١٠٧
الفهرس ١٠٩